ديوان

عبد الحميد الديب

شاعر البؤس

تحقيق ودراسة محمد رضوان

مراجعة وتقديم فاروق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

ديوان
عبد الحميد الديب
شاعر البؤس

تحقيق ودراسة : محمد رضوان

مراجعة وتقديم: فاروق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

الطبعة الأولى ٢٠٠٠

تقــديم

عبد الحميد الديب
وتر نافر وصعلكة مبدعة

بقلم فاروق شوشة

يا معشر الديب وافى كلُّ مغتربٍ
إلاَّ غريبكم فى مصر ما بانا
قدمتم الشاة قرباناً لعيدكم
والدهر قدمنى للبؤس قُربانا

* عبد الحميد الديب *

فى معترك التحول الشعرى الكبير ، بين كلاسيكية تترنح وتتهاوى ، ورومانسية ثائرة جامحة متمردة ، بين شعر شغل طويلا بخارج الإنسان : شواغل واهتمامات وعرض حياة وشعر يصطبغ بالوجدان ، ويأخذ عنه شهادته على إبداع جديد وليد . فى أتون هذا التحول العنيف ولدت شاعرية عبد الحميد الديب وترا نافرا فى قيثارة الشعر ، وصوتا مغايرا للمعهود والمألوف من معجم الشعراء ، وعريا كاملا – حتى إحداث الصدمة أحيانا – من مواضعات العصر وطبقية تصنيف الشعراء ، وسيطرة المفهوم المتوقر للمعجم الشعرى .

ولم يكن عبد الحميد الديب يمتلك من مقومات هذا الموقف – النافر والمغاير – غير بضاعة شعرية يمكن أن تصنف داخل إطار السياق العام ، من حيث التكوين والتأهيل ، والانتماء الحميم للموروث الشعرى – شأن شعراء جيله – لكنها وهى الدالة على نموذجه الكلاسيكى ، أتيح لها من جوهر روحه وتمرده ، تلك النار المقدسة التى يقدر لها أن تتوهج وأن تشتعل بها عبقرية شعرية مغايرة ، شغلت حتى النخاع بتقييم ذاتها وذوات الآخرين ، وحظها المتدنّى وحظوظ الآخرين ، فكان وعيها العميق بالتفوق ، بالرغم من دونية الوضع الاجتماعى والإمكان المادى ، مطلقاً لهذا المارد الشعرى الذى يجرف فى طريقه – بوعى وبدون وعى – الأصدقاء والأعداء ، حتى ليصبح خطراً داهماً يتهدد كل من يعرفه ويلتصق به ، لن تشفع له صداقة ، ولن تغفر له مكرمة سابقة لأن الذى يتفضل به الآخرون من فتات هو بمنطق الديب استرداد لبعض ماله من حقوق قبل الحياة قبل أن تكون حقوقاً قبل البشر ، ومن رد اعتبار لشاعريته وفنه – وما أشد اعتزازه بهذا الفن وهذه الشاعرية إلى درجة المغالاة – إذن لا فضل لأحد عليه ، كلّ فضلٍ يصبح دون ما يستحق وكل تكريم يصبح أقل من قدره ومنزلته والذى يعطى ليس بأفضلَ ممن يأخذ بأية حال من الأحوال .

نحن إذن أمام صورة شديدة العصرية للشاعر الصعلوك فى موروثنا الشعرى القديم . الصعلكة فى حقيقتها ليست مجرد فقر أو إعدام ، وليست مجرد المبيت على الطوى أو ربط الحزام على البطن أو اضطرار صاحبها إلى أن يستف تُرب الأرض ، لكنها – أولاً وقبل كل شئ – التمرد على هذا كله ، والعزم على تغييره . الصعلكة إذن روح عارمة لاجتياز حاجز الفقر ، المادى والوجودى ، وإرادة إنسانية واعية بالحق الذى ينبغى أن يكفله المجتمع لأبنائه من هنا فقد ترددت فى شعر الصعاليك : عروة بن الورد والشنفرى وتأبط شرا وغيرهم فكرة الحق والحقوق ورد الحق إلى أصحابه وأخذ الحق لمن لم يستطع أن يصل إليه .

يقول عروة :

أتهـــــزأ منى أن ســـــمنت وأن ترى
بجـــســـمى نحــول الحق والحق جـاهدُ
وإنى امـــرؤ عـــافى إنائى شـــركــة
وأنـت امـــرؤ عــــافى إنـائك واحـــدُ
أقسّم جـسـمى فى جـسوم كـثـيـرة
وأحـــســـو قـــراح المياء والماء باردُ

ويقول أيضاً :

أليس عظيـــمـــا أن تلم ملمـــة
وليس علينا فى الحـــقـــوق مُـــعـــوّل
فـــإن نحن لم نملك دفـــاعـــا بحـــادث
تُـلم به الأيام فـــالموت أجـــملُ

الصعلكة إذن هي هذه الروح المتمردة التى منحها التمرد شجاعة خارقة وقدرة أسطورية وموقفاً نادراً من أجل تحقيق الحق واسترداد الحقوق . وهى التى جعلت شعر هذه الزمرة من الخارجين على قانون ذلك الزمان – قانون القبيلة وأعراف المجتمع وتقالبده – مغايرا للشعر القديم في نسقه المألوف ، المساير للتقاليد والصنعة الفنية معاً . وهى التى جعلت القدماء يسمون هؤلاء الصعاليك باللصوص ، وأحلاس الليل ، وقطاع طريق القوافل ، وغيرها من التسميات التى توقفت عند العرض الخارجي دون أن تنفذ إلى المعنى الأعمق ، إلى الجوهر الوجودى والإنسانى لفعل الصعلكة وشعرها المغاير .

عبد الحميد الديب واحد من هؤلاء الشعراء الصعاليك – بهذا المعنى – تأخر به الزمان . لكنه ينحدر من أصلاب عروة والشنفرى وتأبط شرا والسليك . ويعيش روح الصعلكة باعتبارها تمردا على التقاليد وعلى الواقع ، كما عاشوها وليس بوصفها مجرد حُرفة أو محارفة ، أو مجرد خلو جيب أو جوع معدة أو لسعة ظمأ إلى شراب .

من هنا هذه الروح المتكبرة العاتية التى يمتلئ بها شعره ويتوهج ، لأنه يرى نفسه دائماً أعظم ممن يقصدهم ، ويرى شعره أرفع مما يكتبه شعراء التقاليد المستأنسة والمسيطرة التى تحقق المنفعة ، والقيم التى تؤازر المصالحة ولا تعمق شقة الخلاف أو الصدام أو الخروج على المألوف .

يقول عبد الحميد الديب :

يـا أمـــة جـــهلتنى وهى عـــالمة
أن الـكـواكـب مـن نـورى وإشـــراقى
أعـــيش فـــيكم بلا أهـلٍ ولا وطـن
كـــعـيش متـجـع المعـروف أفـّـاقِ
وليس لى من حـبـيب فى ربوعكمـو
إلا الحـبـيـبين : أقـلامى وأوراقى
ريشت لحظّى سـهـام من نميـمتكم
فـصـارعـتنى ومـالى دونهـا واقِ
لم أدر مـاذا طعـمـتم فى مـوائدكم
لحم الـذبيـحـة أم لحـمى وأخـلاقى !

هذا الأفق الشعرى والإنسانى الذى حرص عبد الحميد الديب على أن يتوجه إليه ويرتفع بتمرده وعناده وإصراراه وأحيانا بهجائه المقذع ، وأبياته العارية التى أتيح لها انتشار واسع وذيوع صيت حتى لقد حفظها الكثيرون باعتبارها جوهر شعر الديب وشهادة إبداعه الشعرى ، هذا الأفق ضمن للديب تفرّده ، واتساع إهاب شعره الكلاسيكى لروح عصرية شديدة الحرارة والتوهج ، فكأن شعره جاء شهادة على أن الخمر الجديدة تضفى على آنيتها رونقها المغاير ، وتجعل لها حضورا فنيا وتشكيليا مخالفا للسائد والمألوف .

يقول الديب :

شكوت ، ومـا شكواى ضعف وذلّة
فلست بمستجد ولا طالبا يدا
ولكننى أفحمت ظلماً بمنطق
من الدهر ، لم تبلغ غباوته مدى
دمى دم أكفاء الحياة ونظرتى
بها للمحيط الضخم لا الطلّ والندى

وهو يرى فى نفسه وفى شعره عونا للهيف وغوثا ونصرة للمحتاج وهذا دليل على روح الصعلكة بمعناها الحقيقى وفى جوهرها الفروسى النبيل عندما يقول :

أأسجن من عون اللهيف وغوثه
ونُصرتى المظلوم سجناً مؤيدا
أيبتئسنى قومى ، لأنى شاعر
أهلهل فى الآلام شعرا مخلدا
وشدت كما شاد النبيون شرعة
تنزل فيها الوحى شعرا مردّدا
وقلت وقال الناس ، لم يبق قولهم
بيانا ولا سحرا ، فأربيت منشدا

حتى يصل إلى ذروة الموقف الوجودى والشعرى فى قوله :

يمينا لئن لم يؤمنوا بقضيتى
لأمضى إليهم سهم ظلمى مسددا

سأرقب عدلاً من قضاتي ، فإن أبوْا
أبت قوتي في الهجّو أن تتقيدا

ولنتوقف قليلا عند هذه الأبيات ، هي أولاً تذكرنا بنفس المتنبي ، شاعر العربية الكبير ، في قمة زهوه واعتداده بنفسه ، وإحساسه بقدرته الإبداعية المغايرة لكل ما عداه ، ولكل شعراء زمانه حين قال من البحر نفسه والقافية نفسها ، وكأن عبد الحميد الديب في فورة زهوه بذاته وشعره متابع للمتنبي دون أن يدري في قصيدته الشهيرة التي يخاطب فيها سيف الدولة :

أجزني إذا أنشدت شعرا ، فإنما
بشعري أتاك المادحون مرددا
ودع كل قول غير قولي فإنني
أنا الطائر المحكيُّ والآخر الصدى
وما الدهر إلا من رواة قصائدي
إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

لنتأمل الآن ثانية الديب وبيتيه الجريئين المتمردين :

وشدت كما شاد النبيون شرعة
تنزل فيها الوحي شعرا مردّدا
وقلت وقال الناس لم يبق قولهم
بيانا ولا سحرا ، فأربيت منشدا!

أليست هذه روح المتنبي وكبرياءه ، ولغته ، وغلوّه في زهوه بقيمته وقدره ومنزلته ! أليس المتنبي بدوره واحدا من هؤلاء الصعاليك العظام الذين عبروا ذاكرة الشعر العربي ، وتركوا فيها كلماتهم الباقية لامتلائها بهذا التوهج وهذا التمرد وهذه المغايرة في الأفق وهذه الثورة على السائد والمألوف ، على التقليدي الميت الخالي من كل روح ؟

بلى ، هى فعلا . بل هو يذكرنا بمن هو أبعد من المتنبى وأسبق ، بالمهلهل الذى قيل فيه إنه سمى بهذا الاسم لأنه أول من هلهل القصيد ، أى أول من أحكمه وجعل له بنية تحكمه ونظاما يمضى عليه ، ألم يقل الديب :

أيئسني قومى ، لأنى شاعر

" أهلهل " فى الآلام شعرا مخلدا

هذه الهلهلة التى يشير إليها عبد الحميد الديب ، هى الترجمة الحقيقية والإفصاح الجهير عن شعوره بالتفوق والريادة . وهذا الإفصاح الذى داخلته المبالغات وتضخم الذات هو رد الفعل الحاد لشعوره الداخلى - بينه وبين نفسه - بأنه الأزهرى الذى لم يكمل تعليمه ، والأديب الذى لم يتح له وضع اجتماعى يحترمه به الناس كغيره ممن هم أقل قدرا ، وأتيحت لهم المناصب وتحقيق المآرب وتسنم سلّم الرقى الإجتماعى والمادى من حيث الحيثية والأهلية بينما قعدت به ظروفه عن نيل بعض ما نالوه ومواجهة العوز بسلاح الدخل الثابت الآمن ، والمستقبل بيقين المطمئن الهانىء البال .

وبالرغم من فقره وعوزه ، فإنه لم يسلم من ناهشى العرض والشامتين فيه . وبقدر شكواه من هؤلاء ، فإن الشكوى تشف عن وجه آخر للأمر وتنم عن تقدير داخلى لذاته . إن الناس لا تتناول بألسنتها الحداد إلا من كان له وجود وقدر وأهمية أما ساقطو المنزلة فلا يلتفت إليهم أحد . بل ربما كان هذا الشعور الذى يلاحقه ويطارده من كراهية الناس له وحقدهم عليه وشماتتهم به حافزا لتعاليه ومفجرا للمزيد من إبداعه الشعرى :

أمرّ على المقهى ، فأسمع شامتاً

يمزق فى عرضى وآخر يشفعُ

وقد ساء ظنى بالعباد جميعهم

فأجمعت أمرى فى العداء وأجمعوا

وينفجر الجرح ألماً نازفا وشجىً كاويا ، من خلال صياغة شعرية محكمة - هى جوهر الصياغة الكلاسيكية وتقاليدها العريقة الراسخة - وكأن الديب يذكرنا بكبار المبدعين الذين مزقتهم أسنّة الجحود والتنكر على تعاقب الأزمنة واختلاف الناس ، فتعانقتا أرواح ابن الرومى والمعرى فى القدماء وحافظ إبراهيم والشابى فى المحدثين عندما يقول :

مـــا بال من عـــرفـــوا أليم خـــصـــاصـــتى
ورقـــيق حـــالى ، ليس فـــيـــهم مُـــســـعفُ
من كـــــان يـقـــدر أن يـفـــرّج كـــــربتى
ويـنيـب مـــــدمـــــعـــــه فـظلم منصفُ
يتـــمـــتـــعـــون بمدمـــعى وشكايـتى
والبــــدر سلوى للـورى إذ يـخـــسـف
ولـربمـا غـــــــدت المواجـع سـلـوة
للمـــتـــرفين ومـــتـــعـــة لا تـوصف
ولـقـــــد تـسلّى العـين وهـى قـــريرة
بمن اغـــتـــدى فى قـــيـــد سـجنٍ يـرسفُ
حتى نصل إلى قوله :
أأرى ذئـابـاً ؟ أم صـــحـــابـاً ؟ إنـهـم
وجـــمـــيـــعـــهم فى الخطب لم يتـــعطّفـــوا
بار "اللواء" جـــمـــعت بعض كـــتـــائب
والحـــقـــد فـــيـــهم مـــســـتـــبـــد مـتـلفُ
وقـــفـــوا كـــمـــا وقـف الزمـــان بمحنتى
لدمى البـرئ جـــمـــيـــعـــهم يسـتـنزفُ
أأعـــيش بينهـــمـــو شـقـيـاً مُـعـدمـــا
وهـمـــــو غنىٌ ناعـمٌ ومـــــوظـف !

لقد أتيح لعبد الحميد الديب أن يشهد التحولات الشعرية الكبرى فى زمانه : انحسار الكلاسيكية بعد رحيل علميها الكبيرين حافظ إبراهيم ثم أحمد شوقى ، واشتعال المدّ الرومانسى ممثلا فى جماعة أبوللو التى أسسها الدكتور أحمد زكى أبو شادى عام ١٩٣٢ وأعلن عن قيامها قبل رحيل شوقى بأيام قليلة ، وما أثارته جماعة الديوان منذ نشر كتاب الديوان لعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى فى مستهل عشرينيات القرن وانضمام عبد الرحمن شكرى بعد ذلك إليهما فى الفكر والنظرة الجديدة إلى الشعر التى لا تعترف بشعر المناسبات الخارجية - الذي اهتم به الكلاسيكيون - وتدعو لشعر الوجدان الذى وجد نموذجه أولاً فى شعر المهجريين من أمثال جبران وميخائيل نعيمة وإيليا أبى ماضى وآل المعلوف ثم فى شعر الرومانسيين من أمثال على محمود طه وإبراهيم ناجى ومحمود حسن إسماعيل وأبى القاسم الشابى ومحمد عبد المعطى الهمشرى وغيرهم . وكان الديب أكثر اقتراباً من حيث الصيغة والشكل إلى النمط الكلاسيكي للقصيدة ، لكنه في الوقت نفسه كان خليطا من أصداء الديوان والمهجريين والرومانسيين من حيث اللغة الشعرية والخيال المجنح والقدرة على التصوير والمبالغة فى التعبير عن إفضاءات الذات والوجدان . من هنا فإن قارئه المتأمل تستوقفه طيلة الوقت القفزات والانتقالات من جهارة الأداء الكلاسيكي - كما فى شعر حافظ إبراهيم خاصة فى هجائياته الاجتماعية ووطنياته - إلى تدفق الأداء الرومانسى ونعومته - كما فى شعر ناجى وعلى محمود طه والشابى - وإن كان الأداءان يجيش فيهما نَفَسُ عبد الحميد الديب المتمرد الثائر ونزعته الحادة العنيفة المفعمة بالسخرية والهجاء ، حتى لوقادته إلى الإقذاع والتورط فى معجم شعرى يصدم ذوق القارئ ويتعارض مع الآداب العامة .

ويصدق هنا على شعر عبد الحميد الديب ما يصدق على شعر مجايليه من الشعراء - أصحاب الثقافة الأزهرية فى أول الأمر الذين تجاوزوا هذا الأفق إلى ثقافة عصرية وآفاق أكثر انفتاحا واستنارة ، واهتمام بالقضايا الاجتماعية والوطنية - من أمثال أحمد مخيمر وطاهر أبو فاشا والعوضى الوكيل وأحمد عبد المجيد الغزالى (الذين عرفوا باسم جماعة شعراء العروبة التى كان يرعاها دسوقى أباظه باشا ويتعهد أعضاءها على المستويين الإنسانى والأدبى لفترة طويلة من الزمان) . وكان الديب صديقا لهؤلاء الشعراء وقريباً منهم بحكم النشأة والتكوين والمزاج والثقافة ، لكنه كان يختلف عنهم من حيث الحرص على عدم الانتماء أو الالتفاف حول شخصية بعينها مهما كبرت وعظمت ، وهو الموقف الذى عرّضه لمواجهات قاسية مع أعباء الحياة وتكاليفها ، لكنه آثر هذه المواجهة على الانضواء أو المشاركة فيما رضى به الآخرون .

ذلك أن عبد الحميد الديب أقرب إلى نموذج الثورى اللامنتمى أو الثورى

الفوضوى الذى يرى سعادته فى الهجوم الدائم والنقد اللاذع والخروج على المواضعات والتقاليد أكثر من حرصه على المشاركة والالتفاف والمؤازرة والتأييد . وربما كان هذا الموقف سببا فى امتلاء شعره بوهج افتقده شعر نظرائه ومجايليه ، أشعلته نيران المحارفة وشكوى الزمان والتمرد والاستعلاء وعدم الرضا والسخط الدائم والتغير من حال إلى حال ومن موقف إلى موقف ومن صديق إلى صديق . فأصبح شعره – فى جوهره – مرصدا لتقلبات النفس الإنسانية الثائرة المحبطة ، التى أيأسها تكسر النصال على النصال ووقع الخطوب على الخطوب ، فأصبحت كالحيوان الشرس الجريح المحاصر ، لا يمل التهديد بالمزيد من العدوان والإفتراس والتوحش بالرغم من أنه ينزف وينزف حتى الموت ! .

* * * *

يبقى أن ما قام به الأستاذ محمد رضوان من جهد فى تجميع شعر عبد الحميد الديب من مظانه ومصادره المختلفة وتحقيقه ، يستحق الإشادة والتنويه . فهذه هى المرة الأولى التى يطالع فيها القارئ شعر هذا الشاعر الظاهرة الذى أصبح جزءا من النسيج الحى للوجدان الشعبى بالإضافة والمبالغة والشطط فى الوصف والتناول ، وهو ما حدث من قبل لشخصيات عديدة شغل بها الخيال الشعبى وجعل من صورتها أقرب شبها بالأساطير كما حدث لشخصية الزير سالم وجحا وأبى نواس وأبى دلامة وغيرهم من الشخصيات الأدبية وغير الأدبية . وعبد الحميد الديب – نجح بفضل شخصيته – ذات العناصر المعقدة المتشابكة والطابع المأساوى وتجسيده لروح الصعلكة بمفهومها المتمرد الثائر وبفضل شعره النافذ كالسهام المدببة كأطراف الرماح الوالغ فى الحرمات والتقاليد وكل ما هو سائد ومألوف – نجح فى أن يصبح شخصية شعبية ، يضيف لها الرواة من خيالهم ومن إبداعهم ، ويلفقون له من المواقف والحكايات ، ومن الأشعار التى تُنسب إليه ولا ندرى هل هى من وضعهم أم من تأليفه ما جعل منه مثارا للفضول وإغراء دائماً بالتعرف والمكاشفة تماما كإغراء الفضيحة أو الحكايات العارية لذوى النفوس الراغبة فى المزيد ! .

من هنا فإن مهمة الأستاذ محمد رضوان لم تكن بالسهلة الميسورة ولا أظنه قد وضع بين أيدينا كل ما تركه الديب من شعر ، فبعضه مات بموت من كانوا يحفظونه ويروونه من أصدقائه وندمائه وفى مقدمتهم كان محمد مصطفى حمام وشوقى أمين وطاهر أبو فاشا . لقد كان بعض شعره – لخروجه على المألوف واصطدامه مع الذوق العام والحياء العام – محفوظاً داخل الصدور غير منشور أو مطبوع . ولقد كان هذا الشعر سبب شهرة الديب وذيوع صيته ، وحرص الناس على روايته والتلذذ به ، كما

كان فيه أيضا بعض ذُرى إبداعه وصوره الباذخة التى لم يتضمنها شعره المسموح بنشره وتداوله . واختفاء هذه المساحة - غير المستأنسة - من شعر الديب ، ظلم لشاعريته وانتقاص من قدره . لكن ما الحيلة ، والذين كانوا يحفظون ويروون رحلوا ، والذي بقى بين أيدينا لا يمكن نشره أو تداوله . وهو موقف يثير قضية الحقيقة الكاملة فى مواجهة المواءمة . والمواءمة فى حال شاعر كعبد الحميد الديب تضر بشاعريته ضررا بليغاً ، وتُفقد صورته بعض قسماتها الأصيلة وملامحها الدالة . فلنتطلع إذن إلى عصر مغاير ، وزمن قادم يسمح بنشر ما لا يُسمح به اليوم ، وأن يبقى ذلك المسكوت عنه من شعره ، والذي لم يؤذن بنشره ، حياً ومتداولاً بواسطة المشافهة والحفظ الشخصي حتى يجئ أوان رد اعتباره وضمه إلى سائر حبات عقده !

لقد نجح الأستاذ محمد رضوان فى رسم صورة إنسانية وشعرية لعبد الحميد الديب أقرب ما تكون إلى حقيقته .

ولا شك أن قيام المجلس الأعلى للثقافة بنشر شعره محققا مضبوطا ، سيتيح لدارسيه مادة مغرية بالتناول العميق والدراسة الكاشفة والنظر الهادئ المتأمل ، كما سيتيح لقراء الشعر مادة شعرية حافلة مليئة بالتنوع والمغايرة والخروج على المألوف ، لأن صاحبها هو عبد الحميد الديب : الوتر النافر والصعلكة المبدعة !

فاروق شوشة

حكاية هذا الديوان
بقلم : محمد رضوان

لهذا الديوان حكاية . .. . .

فى منتصف الستينيات قرأت أول أشعار عبد الحميد الديب حين وقع بيدى مقال للشاعر الكبير كامل الشناوى عن الديب فى إحدى الصحف التى كان يكتب فيها الشاعر الكبير ومن يومها رحت أتتبع كل ما نشر عن حياته وشعره فى مختلف المصادر والمراجع خاصة مقالات صديقه الدكتور عبد الرحمن عثمان التى نشرها فى صحيفة الشعب تحت عنوان (عواء الذئب) فى نهاية الخمسينيات ، ورجعت إليها بدار الكتب بالقاهرة فيما بعد .

ثم عندما تركت المنصورة والتحقت بجامعة القاهرة عام ١٩٦٦ م وجدتها فرصة ثمينة لمراجعة الدوريات التى نشرت للديب وكانت توجد بفرع دار الكتب بالقلعة .

وقد بدأت مرحلة جديدة فى حياتى الأدبية حيث جعلت وجهتى وجامعتى دار الكتب فكنت أصعد كل صباح إلى مبنى الدوريات التابع لدار الكتب بالقلعة وأظل أراجع مختلف الدوريات من المجلات والصحف فى الفترة من (١٩١٥-١٩٥٠) لأستخرج منها كنوزاً ثرية لأعلام الأدب والفكر وكان اهتمامى الأكبر فى هذه الحقبة بثلاث شخصيات أدبية شامخة :

١ - عبد الحميد الديب .

٢ - زكى مبارك .

٣ - على محمود طه

ولكن كان تركيزى الأكبر على شعر عبد الحميد الديب الذى لم يسبق جمعه فى ديوان فى حياته أو بعد مماته واضطررت لمراجعة الصحف والمجلات التى نشرت أشعاره فى حياته والتى تغطى الفترة من حوالى عام ١٩٢٥ - ١٩٤٣ وهى فترة الإبداع والانتشار للشاعر البائس وكان جل شعره ينشر فى مجلات " الصباح " و (أبوللو) و(الرسالة) وصحف (البلاغ) و (الأهرام) و (مصر الفتاة) واستغرق ذلك منى ما يزيد على خمس سنوات كان كل اهتمامى فيها مركزا على كل ما يتصل بحياة هذا الشاعر المنكود وشعره الصارخ الذى كان يدور غالباً حول شكوى الزمان وتصوير مأساة بؤسه ومعاناته وثورته على ما يعانيه من ظلم وافتتان جسد صورها

من واقع حياته البائسة وآلام حرمانه الممض والتى جعلته يتعمق مأساة وطنه مصر فى ظل الاحتلال الإنجليزي والاستغلال الطبقى فأخذ يرسل صواعق غضبه على جبروت الاحتلال وظلم الإقطاع .

ولم أكتف بمراجعة المجلات والصحف التى نشرت للديب قصائده بل رجعت لعدد من الأدباء الذين عاصروه أمثال أحمد حسن الزيات وأنور الجندى وطاهر أبو فاشا .

ثم كانت خطوتى الأول نحو الاهتمام بهذا الشاعر البائس فأصدرت عنه كتاب (مأساة شاعر البؤس) عام ١٩٧٦ ثم وجدت أنه من الوفاء لهذا الشاعر أن أجمع ديوانه خاصة أنه لم يصدر له أى ديوان يجمع اشعاره المتفرقة سواء فى حياته أو بعد مماته .

وكانت المهمة صعبة لكن ما شجعنى عليها هو ذلك الصدى الطيب لصدور كتابى عن الديب فى مختلف أنحاء الوطن العربى حيث وصلتنى العديد من الرسائل تطلب المزيد من اشعاره الشجية ، كما لمست هذا الصدى أثناء رحلاتى لمعظم البلاد العربية .

وبدأت أجمع ديوان الديب من مختلف المصادر والمراجع فتوافر لدىّ العديد من قصائده التى تدور حول حياته ومأساة بؤسه وقصائده الوطنية والسياسية وغيرها ثم وجدت له بعض المذكرات التى تضم اعترافات شاعر يرسل نفسه على سجيتها ويصور فيها بعض معاناته وذكرياته مع الحياة والناس وقد دونها فى سنواته الأخيرة (١٩٤٠- ١٩٤٣) فرأيت أن أضمها فى نهاية الديوان لتكمل صورة هذه العبقرية البائسة وعندما استكملت جمع آثاره الشعرية والنثرية تقدمت به ليطبع فى مشروع المكتبة العربية التابع للمجلس الأعلى للفنون والآداب (المجلس الأعلى للثقافة حالياً) وذلك عام ١٩٧١ .

وأثناء عطلة الصيف تلقيت فى قريتى بالدقهلية رسالة بتوقيع الشاعر عادل الغضبان باسم لجنة الشعر يطلب منى فيها مقابلته بمكتبه بدار المعارف بخصوص ديوان الديب وسافرت إلى القاهرة وقابلت الشاعر عادل الغضبان الذى طلب منى التنسيق معه ومع الشاعرين محمد مصطفى الماحى وصالح جودت بخصوص مراجعة الديوان ...

وبدأت جلسات مطولة مع الشعراء الثلاثة لمراجعة قصائد الديوان وتلقى الملاحظات وتصويب البعض واستبعاد البعض الآخر حتى اكتمل الديوان فى صورته الحالية .

ثم جاء عام ١٩٧٣ بعد أن التحقت بالعمل بمجلة الهلال القاهرية وأثناء لقاء مع

الشاعر محمد عبد الغنى حسن أبدى لى تخوفه من حدوث مشكلات مع ورثته إذا صدر الديوان فسحبت الديوان رغم أن هدفى الأول كان إنصاف هذا الشاعر المظلوم ويعلم الله كم أنفقت من وقتى وجهدى ومالى فى سبيل جمع هذا الديوان على مدى خمس سنوات كاملة صيفاً وشتاء . وسحبت الديوان وظللت أضيف إليه كل ما وجدته من آثار شعرية مجهولة للشاعر البائس . ومرت السنوات . . .

وعندما تقدمت بالفكرة من جديد للمجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٧ لطبع ديوان (الديب) وجدت تشجيعا من الدكتور جابر عصفور الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة فحزمت أمرى على تنفيذ هذه الفكرة التى طال انتظارها والتى تأخرت كثيراً وأرجع البعض سببها إلى النحس الذى لازم الديب وحظه السئ الذى وصفه بقوله :

حظى هو الأيكة الخرساء ذابلة
هو النسيم سموماً غير خفاق
هو السحاب جهاماً والندى أسناً
هو الضياء به موتى وإحراقى

ولكن أقدمت رغم كل ما قيل عن نحس هذا الشاعر المنكود الذى يذكرنا بحظ الشاعر ابن الرومى ونحسه إيماناً بعبقرية الديب وفنه الشعرى الفريد الذى تحدى به حساده :

زعم العواذل أن سعيى فاشل
والنحس توأم عيشتى ورفيقى
لولا مناوأة الزمان لهمتى
أزرى بنور الشمس نور شروقى

وحين نقدم هذا الديوان وفاء للشاعر البائس عبد الحميد الديب فإنما نقدم أيضاً صفحة تكاد تكون منسية من صفحات شعرنا المعاصر ولونا فريدا من أدب البؤس والصعلكة التى ابتكرها فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب الذى وصفه أحمد حسن الزيات بأنه كان نمطاً وحده فى شعراء العصر الذى كان ظهوره رجعة إلى نوع انقرض من الشعراء الهجائين المستهترين المكدين الذين لم تهيئهم طبائعهم للعمل

الكاسب فأخلدوا إلى التبطل وحملوا عجزهم وعوزهم على لؤم الناس وظلم القدر والذى لم يعرف الحياة على أنها جد وكد وإنما عرفها على أنها لهو ولذلك قضى حياته البوهيمية لا ينام إلا على المسكر المخدر ولا يستقيظ إلا على الجوع والظمأ .

فإذا كان الزيات قد أدان شاعر البؤس فإن ظروف الشاعر نفسه ومجتمعه قد صنعت منه هذه العبقرية البائسة المنكودة .

ينفرد الشاعر عبد الحميد الديب بلون مميز فى شعرنا العربى المعاصر ، حيث يعده النقاد أبرز شاعر معاصر عكس تجارب حياته البائسة فى شعره بصدق وحرارة .

كان شاعرا فريدا فى زمانه ، وظاهرة لم تتكرر ولن تتكرر كثيراً . لقد عاش حياة غريبة مثيرة سجلها لنا فى لوحات فنية صادقة عكس فيها مأساة بؤسه ومحنة حرمانه ، وروى لنا فى صدق وأمانة حوادث معاركة مع شانئيه ، وتشرده فى الشوارع ، وهيامه للبحث عن لقمة خبز تقيم أوده ، وليالى ضياعه ، وحوادثه المثيرة فى السجن ومستشفى الأمراض العقلية ، والحانات الرخيصة . كل هذا وغيره رسمه لنا الديب بريشته المبدعة الخلاقة ، فكانت حياته فى شعره سلسلة من الاعترافات النابضة بالحرارة والصدق بما اتسم به شعره من دموع وأحزان وأسى عزفت لنا تلك القيثارة الحزينة أرق أنغام الأسى والحرمان وأشجاها فى شعرنا المعاصر .

لقد حرصت على تناول سيرة هذا الشاعر المحروم ، من خلال شعره الذي أتيح له أن ينشر اليوم كاملاً برعاية المجلس الأعلى للثقافة ، بعد أن عاش محروماً ، وظل شعره منذ وفاته (١٩٤٣) مبعثراً على صفحات الصحف والمجلات وفى ذاكرة معاصريه ولعل شاعرنا البائس كان لديه إحساس قوي بإهماله فى حياته وبعد مماته حيث قال :

لقد جهلوا يومى ولن يكرموا غدى
وياحر قلبى من شقائىَ فى أمسى

* * *

وإذا كان مفهوم الصعلوك هو الفقير الذى يواجه الحياة وحيدا ، وقد جردته من وسائل العيش فيها ، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه فى مواجهة مشكلاتها ، أى بمعنى أدق الفقر الذى يغلق أبواب الحياة فى وجه صاحبها ، ويسد مسالكها أمامه فإن عبد الحميد لم يكن مجرد صعلوك ، بل كان فيلسوف الصعاليك الذى

فلسف فقره وصعلكته وتمرده على الحياة والواقع والمجتمع [1] .

وإذا كان المجاهد الكبير الأديب فتحي رضوان يري أن الديب كان شاعرا موهوبا ، كان جديرا بأى يثرى الشعر العربي فوق ما أثراه بألوان فريدة غير مسبوقة ، وبمعان جديدة غير مطروقة ، لو أن الوسط الأدبي كان أكثر جداً ، وكانت الحياة العامة أعظم حظا من الاستقامة والقوة ، ومع ذلك فقد جاد علينا الديب ، بقطع جميلة ، وضع الديب بها نفسه على رأس معاصريه من الشعراء الذين كانوا فى مستواه ، فإذا كانت الشكوى من الدهر والتململ من ضيق الرزق ، والتفوق على نفسه المرة بعد المرة ، فى وصف فقره وبؤسه ، وهوانه على الناس ، وعدم احتفالهم بشقائه ، هو الموضوع المفضل عنده إلا أنه لم يكن الموضوع الوحيد الذى طرقه فقد تناول أمورا كثيرة ، منها ما هو وطني ، ومنها ما هو إجتماعي ، ومنها ما هو وصفي ، وكان فيها جميعاً حارا متدفقا وفنانا مبدعا .

ويرى طاهر أبو فاشا أن عزوف الديب عن استكمال دراسته بدار العلوم وخلعه العمامة وطريشته » ، فإنه بذلك قد بدأ مسيرته مع الصعلكة والأنحراف والتشرد والجوع ، واطرد هذا اطرادا عكسيا مع أدبه وفنه ، فكان ينحدر فى حمأة الانحراف ، بينما كان شعره يرتفع ويسير ، واسمه يتألق كشاعر مبدع ، فانحدر وهوى كانسان ، وارتفع كفنان عبقرى !

* * *

وبعد فإن قيام المجلس الأعلي للثقافة بنشر ديوان عبد الحميد الديب إنما هو بمثابة تكريم لهذا الشاعر العبقرى ، وإتاحة الفرصة للنقاد لدراسة حياة شاعر البؤس وشعره الذى فلسف فيه أحزان الصعاليك وبؤسهم من واقع حياته البائسة المكدودة .

محمد رضوان

---

(١) راجع كتاب فيلسوف الصعاليك عبد الحميد الديب / تأليف محمد رضوان – مركز الراية – القاهرة ١٩٩٩

عبد الحميد الديب . . . سيرة حياة
(١٨٩٨ - ١٩٤٣)

فى كمشيش

ولد عبد الحميد الديب عام ١٨٩٨ بقرية كمشيش بمحافظة المنوفية . . ولد لأسرة فقيرة بائسة فشب وترعرع بين البؤس والفاقة والحرمان ! . .

كان والده السيد الديب فلاحا فقيرا متواضعا وكان يعمل فى مواسم القرية واعيادها جزارا ليعول أسرته الكبيرة القانعة ويرد عنها الجوع والعوز .

وألحق عبد الحميد الديب بكتاب القرية فحفظ القرآن وجوده فى فترة وجيزة وكان فتى متمردا عنيفا صلبا له قصص وطرائف مع الشيخ ومع العريف . . وفى تلك الحقبة من حياته كان ينظم شعرا ساذجاً يهجو به أقرانه ويسخر فيه من الشيخ ومن العريف والصبية يضجون حوله بالضحك وكثيرا ما سببت له هذه المقطوعات متاعب عدة فكان يضرب بالفلقة ولكنه لم يكف عن الإمعان فى هذا المجال الساخر . .

وكان كثيرا ما يستحم فى الترعة وكان ذلك محرما على صبية الكتاب فكان ذلك سببا فى إثارة الشيخ ضده وعقابه بالضرب " بالفلقة " ! .

وبسبب فقر الأسرة المدقع ألحقه أبوه بدكان أحد جزارى القرية ليعمل صبى جزار لقاء قروش قليلة تساعد فى دفع غائلة الجوع عن الأسرة . .

ولكن الشيخ بالرغم من غضبه على عبد الحميد كان يبدى إعجابه ببراعته الفائقة فى سرعة الحفظ وتجويد القرآن الكريم . . .

شب عبد الحميد الديب وهو يرى الفقر يحيط به من كل جانب وترسبت فى أعماقه صور أسرته البائسة وهى تعانى ضروبا من ألم الجوع والحرمان والبؤس .

وفى طفولته كان يشعر بمرارة فى أعماقه وهو يرى نفسه فى الأعياد يلبس ملابس رثه حافى القدمين جائعاً على حين بقية الصبية يمرحون ويلهون وهم يرتدون ثيابا نظيفة وأحذية لامعة ويطلقون الأغانى المرحة الطروب .

وهكذا شب شاعرا حزينا باكيا .

وكانت لأبيه أمنية عزيزة ، هى أن يرى ابنه شيخا مجاورا فى الأزهر يجلس إلى أحد أعمدته ويدرس العلوم ويفسر القرآن لتلاميذه ، ومريديه ! ..

وهكذا اتجه عبد الحميد الديب إلى مدينة القاهرة سنة ١٩٢٠ م ليلتحق بالأزهر الشريف وفى حى الحسين قطن بحجرة متواضعة بحى قصر الشوق . . .

وعاش حياة بائسة فى تلك الحقبة من حياته . .

وكان كثيراً ما ينام على الطوى لرقه حاله وضيق ذات يده . .

وفى الأزهر نهل من تراثه وقرأ أمهات كتب الأدب بالعربى فقرأ الأغانى والأمالى والعقد الفريد والبيان والتبيين وغيرها من شوامخ الكتب فى الأدب العربى القديم ! . . .

ومضت حياته بين دراسته فى الأزهر وكفاحه المرير فى سبيل لقمة العيش وكان صراعا مريرا وقاسياً استنفد جهده ووقته وماء وجهه . .

ثم صمم عبد الحميد الديب على الالتحاق بمدرسة دار العلوم العليا . .

وكان له ما أراد . . .

والتحق عبد الحميد الديب بمدرسة دار العلوم العليا . .

ومضى يقرأ أمهات الكتب ويقرأ روائع الشعر العربى القديم . . ولكنه لم يكن يتقيد بمنهج أو بدراسة بل كان يقرأ ما يحلو له وما يتذوقه فكان يقضى جل وقته بدار الكتب يقرأ ويدون ملاحظاته فى كراسة تلازمه يكتب بها روائع قراءاته فى الشعر العربى . . إلى أن كان ذات مساء . . . ساقته فيه المصادفة إلى بولاق ، وهناك جلس على أحد المقاهى يسترق السمع إلى شخص آخر كان يجلس فى الركن المقابل يلوك فى فمه شطرة من أغنية تقول : والله تستاهل يا قلبى . .

وظل يرددها عشرات المرات ولا يتمها ولاحظ الديب ذلك .. فتقدم منه وقال له بلا مقدمات :

– اقترح أن تتمها هكذا :

والله تستاهل ياقلبى   ليه تميل ما كنت خالى

أنت أسباب كل كربى   أنت أسباب ما جرالى

وكاد الرجل يطير فرحا فقام من فوره واحتضن عبد الحميد الديب وراح يغمره بالقبلات وقدم له نفسه فإذا هو سيد درويش ! . .

الطلل الباكى ! . . .

ودخل الديب فى دور جديد من أدوار حياته . . .

وجد سيد درويش فى الديب ضالته المنشودة . . .

وكان سيد درويش مسرفا سخيا فأغدق على الديب . .

ونسى الديب دار العلوم وانتقل إلى قصر فخم وبدأ يزاول حياة الترف والنعيم ولم يدرك الكارثة إلا يوم مات سيد درويش فجأة فى سبتمبر عام ١٩٢٣ . . .

فانقطعت بالديب أسباب الرزق وترك القصر ليقضى لياليه متسكعاً فى الشوارع هائما طول الليل حتي إذا ما انتهى به الطواف ذات ليلة عند القصر الذى كان يقطنه أيام سعادته وقف يناجيه بمرارة :

لـو أســـتطيع البكا ياأيهـــا الطلل
بكيت حـــتى شكت من دمـــعى المقل
أرى الحـــوادث آســـادا مـــقـــذفـــة
علىّ دون الورى تعـــدو وتقـــتـــتـل
فكم تصـــوّح عـــودى بعـــد نضـــرته
وكم خـــبـــا فى دياجى عـــمـــرى الأمل
وكم دعت لى أمى وهى باكـــيـــة
وكم دعـــا لى أبى يقظان يبـــتـــهـل
وأجلس الليل فى صـــحـــبى أســامـــرهم
وكلهم بمجـــالى رقـــتـــى حـــفـل
حـــتى إذا سلمـــوا للعـــود وانصـــرفـــوا

سريتُ جوعان يفرى عزمى الكلل

كأن حظى رحيق الدهر يشربها

بكرا معتقة ، والدهر بى ثمل . . !

فإن تطلبتُ عيشى متُّ من كمد

وإن تطلبتُ حينى يبعد الأجل (١)

وكانت تلك الصدمة العنيفة القاسية هى أولى الصدمات التى واجهت عبد الحميد الديب فى القاهرة وتركت فى نفسه آثارا قوية وشعورا عميقاً بالأسى والمرارة والسخط ! . . .

---

١ - أبوللو / أكتوبر ١٩٣٣ .

البائس ! . . .

وأصبح الديب شريدا صعلوكا من صعاليك الشعراء بلا مأوى . . يذرع شوارع القاهرة ليله جميعاً حتى ينال منه التعب فإذا أذن المؤذن للفجر هرع إلى المسجد ليتظاهر بالصلاة لينام ويصور لنا الديب تلك الحقبة من حياته في قصيدته الرائعة : كيف أعيش ؟ . . يقول فيها :.

نهـــارى إمـــا نومـــة بين مـــســـجـــد

غـــــرارا وإمـــــا بالـطـريـق تـسـكـع

وأطوى عـــصىّ الـلـيل فى الـقـــرســاعـــيـــا

ومن أيـن للأفـــاق فى الكون مـــهـــجـع

أصـلـى بـأذكـــــار المرائى وقـلـبـــــه

وبئـس صــلاة يحــتــويهـــا تصنع ! . . .

وبدأ الديب حياة الصعلكة واللجوء إلى طلب المنح والعطايا من ذوى القدرة ومن الطرائف تلك القصة فى أحد مواقف الديب مع أمير الشعراء أحمد شوقى . . . كان اليوم مقرورا تلفح سمومه وجوه المضطرين إلى مواجهة العراء وكان الديب يصاحب زميلا له في محنته قضت المصادفات بأن يشاركه في ليله ونهاره فكلاهما غريب لا أهل له ولا سكن وكلاهما مهاجر بين أقطار الأسى لا يجف له دمع إلا إلى مدمع .. وظل الصعلوكان يذرعان الطرقات بلا جدوى وبلا أمل فى طعام ومأوى حتى مرا على (صولت) ندى أمير الشعراء أحمد شوقى ومجلس صحبته وحاشيته فقال الديب لصاحبه :

إن هنا من لو شكونا إليه لمسح دموعنا !

قال رفيقه فى البؤس : وى ... أفى الأرض أم فى السماء هذا الشفيق المنتظر ؟ ..

قال الديب :

– إنه أمير الشعراء شوقى بك !..

وعمد الديب إلى ورقة من أوراق جيبه فكتب فيها البيت الآتى :

هل أنت منجد من ضاقت به الحال   وقد تغرب لا أهل ولا مال ؟

ومضى الديب إلى شوقى متعمدا مخاطبة شوقى بالباشا إذ كان يهمه أن يصل بأميره إلي القمة من غير شك وما كاد شوقى يأتى إلى البيت حتى وقع تحته توقيعاً طرب له الديب وضمن له أن يأكل أكلة دسمة فى تلك الليلة مع رفيق بؤسه ! ...

فى جحر الديب

وقطن عبد الحميد الديب فى غرفة صغيرة بلا أثاث ولا فراش فى حى الحسين وكان يطلق على تلك الغرفة (جحر الديب) ! .....

ويرسم لنا عبد الحميد صورة طريفة لغرفته فِى قصيدته التى يقول فيها :

أفى غـــرفـــتى يارب أم أنا فى لحـــدى ؟...

ألا شـــدّ مـــا ألقى من الزمن الوغـــد

وهـل أنا حى أم قـــضـــيت ؟ .. وهـذه

إهابة إسـرافـيـل تبـعـثنى وحـدى ؟ . .

لقـد كـنت أرجـو غـرفـة فـأصـبتـهـا

بناء قـديم العـهـد أضـيق من جـدى

فـــأهدأ أنفـــاسى يكـاد يهـــدها

وأيســر لمس فى بنايتـــهـــا يُردى

أرى النمل يخـشى الناس إلا بأرضـهـــا

فـــأرجله أمـــضى من الصـارم الهندى

تسـاكننىَ فـيـهـا الأفـاعى جريئـةً

وفى جوها الأمراض تفتك أو تعدى
ترانى بها كل الأثاث فمعطفى
فراش لنومى أو وقاء من البرد
وأما وساداتى بها فجرائد
تجدد إذ تبلى على حجر صلد
تعلمت فيها صبر أيوب فى الضنى
وذقت هزال الجوع أكثر من غاندى
جوارك ياربى لمثلى رحمة
فخذنى إلى النيران لا جنة الخلد

وكان الشاعر البائس عبد الحميد الديب يعجز عن سداد إيجار غرفته المتواضعة على الرغم من ضآلته حتى أصبح صاحب البيت عدوا بالنسبة له وكان الشاعر يلقى صنوفا من الإذلال والمهانة بسبب مماطلته فى تسديد الثمانين قرشا أجرة الغرفة التى يسكنها وقد صور ذلك فى قصيدته التى يقول فيها :

ثمانون قرشا أهلكتنى كأنها
ثمانون ذنبا فى سجل عذابى
طويت لها الدنيا سؤالا وكُدْيةً
فما ظفرت نفسى برد جواب
لعنت كراء البيت كم ذا أهنتنى
وأذللت كِبرى بين كل رحاب
لأجلك إمّا أن أبيع كرامتى

وإما أفـــديها ببـــيع ثيـــابى
فـــفى كل شـــهـــر لى عـــواء بموقف
يبـــاعـــد عنى أســـرتى وصـــحـــابى
وطول ليـالى الشـهـر تهـتـاج مضجعى
مـــخـــافـــة رب البـــيت يطرق بـابى
يطالبنى فى غلظة فـــأجـــيـــبـــه
إجـــابة من يرجـــو يـدأ ويحـــابى
ألا مـــسكن ملكى ولو بجـــهـــنم
فـــأكـــفـى من الأيـام شر حـــســـابى ؟

وقد سأله أحد أصدقائه ذات يوم : كيف أنت ياديب والدنيا اليوم ؟ فقال الديب فى تهكم :

يقولون إنها ابتسمت لى ! .. فقال الصديق : إذا فرض أن الحياة أقبلت عليك وفتحت ذراعيها وابتسمت لك كما يقولون وشعرت بابتسامتها فما موقفك منها إذ ذاك ؟ ..

فقال الديب فى آهة حزينة : أؤكد لك أن الشقاء يلازمنى فأفارقها ! ... وكان الديب لا يملك إلا حلة واحدة رثة مهلهلة واتفق ذات مرة أن خلع عليه أحد أصدقائه حلة جديدة ولعلها المرة الوحيدة فقال له الشاعر كامل الشناوى مداعباً :

أراك متنكرا يا ديب ! ..

وكان الديب قد شرع قبيل وفاته في جمع قصائده فى ديوان أزمع أن يسميه (ثورة المحروم) ولكن الموت لم يمكنه من تحقيق أمنيته .

الديب ... والخمر

اندفع الديب إلى الخمر ينشد فيها السلوى والنسيان بعد أن قوبل بضروب من الجحود والانكار وأساليب شتى من العدوان والافتئات وكان يسعى إلى الحصول على بضعة قروش ليقضى بها شطرا من الليل فى حى الزهار وشطره الآخر بين الكأس والوجوه المليحة فى حانة (الحاخام) بحارة اليهود خلف حى الموسكى وكان يعيش ساعات على حد قوله فى مثل أطياف الجنة .. فقد كانت الحانة فردوسه المنشود فإذا أستبد به الخدر ارتمى تحت حطام منزل مهجور أو استلقى فى ظل جدار متداع يحلم بالسعادة المنشودة والمجد الموهوم ويسبح فى خيالات وأوهام ساحرة مفعمة بالنشوة والسعادة والجمال ...

ثم يستقيظ فيصطدم بواقعه الجهم وحياته المجدبة فيشكو ويسخط ويتمرد ! .. ويهتف الديب بفلسفته الأبيقورية الماجنة فى تلك القصيدة الجريئة الصارخة : [1]

هات المدام فدين الله تيسير

وأسعد الناس مخدور ومخمور

هات المدام ولا تعرض لمتربتى

مهما غلا العيش لم تغل القوارير

فديتها حانة الحاخام هادئة

سكرى يعربد فيها الحسن والنور

ويرسم لنا شاعر البؤس صورة نثرية طريفة عن بعض نوادره فى حانة الحاخام التى كان يرودها بأسلوب مشرق رقيق جذاب ...

كتب الديب تحت عنوان (الخمر والشعر) يقول :

(ها نحن على أبواب الحانة نطالعها فى هزج الصباح وقد تندت ملابسنا بطل الندى وباكرنا طرق المدينة كطليعة الفداء فى الحرب الطاحنة : نحن أبناء الأعيان .

---

(١) - مجلة الصباح ٢٩ مارس ١٩٤٠

« بلى ... إنه لحق إذا استثنيت شخصى الضعيف فلست من قيس ولا قيس مني ، ولست من أبناء الذوات أو الأعيان ولكنى أملك وجاهة أخرى ليست من هذا النوع اللامع البراق . ذلك أنهم يعرفوننى بالشاعر بل يقولون : شاعر البؤس .. (ولا أكذبك أننا جميعا كأننا خلقنا لوجه الكأس والشيطان أجمعنا أمرنا عشاء أن نشربها صبوحا وأن نسبق منبه الخمار إلى إيقاظه بأصواتنا الجائعة إلى الكأس ...

(لقد استيقظ الساقى وفى هدب عينيه بقية نوم وأحطنا بالطاولة التى اعتدنا الشراب حولها وما فينا باخل أو ضنين كل على صديقه ..

(لقد خاب أمل الصحاب فىّ إذ أسروا فيما بينهم أن يسقونى الكأس صبوحا لأقول قطعة غنائية .. تخيلوا أنها ستكون أغنية الجيل ..

(واذا فتشوا لى سريرتهم فى موقفى وأرادونى على القول عييت حتي عن نظم سطر واحد من بيت . لقد حسبوا أن الخمر وحمياها تلهم الشاعر أو تفتح له مغاليق الموهبة .. (لا .. لا ... هذا رأى من لا يقدر للشعر منزلته من السماء وموضعه من الوحي والالهام) تناوبا لومى على هذه البكاءة وهذا العى والحصر .

قلت : اتركونى أغفو سنة من النوم على كرسى أقول بعدها بيتاً أو أبياتا وأسلمت نفسى إلى غمرة السكر فى حال أشبه ما تكون بالنوم واستيقظت أنشط من رابح النمرة الأولى فى اليانصيب ...

« وإذ ذاك استطعت أن أنظم القطعة التالية ومطلعها : (١)

كـلـمـــا أقـــبـل لـيل أو نـهـــار
شـــاقنى الـعـــهـــد وشـــاقـــتنى الـديار
وشـــجـــانى ســـحـــره هذا المزار
والـلـيـــالى الخـــرد الـغـــيـــد النضـــار
بعـــد طول البـين هل يـجـــمع شـــمل ؟
هـو نـار هـو وجـــــد هـو قـــــتـل
ياحـــبـــيـــبـى كـيـف أنجـو كـيـف أسـلو ؟

---

(١) – مجلة الصباح ٢٩ مارس ١٩٤٠

لقد نجحت فى نظم القطعة ولكننى نظمتها وأنا صاح غير مخمور الحق أن الخمر عدو للشعر ومن الخطأ الشائع أن الشعر يواتى في حالة السكر)

هذا هو رأى الديب فى الشعر والخمر ...

وللديب قصيدة طريفة بعنوان (فى الحانة) يقول فيها :

ياحـــانة من طلاهـا تـشـــرب الكاس

وفـى دجنّتــــهـــــا لـلـقـلب إيـنـاس

شـــذى المدام وأرواح الــســقـــاة لهـــا

كــــالـروض عطّره الـنـســـريـن والآس

ياشــــادنـا فى يـديه الـكـأس فــــاتـنـة

كــأنما خــمــرها حــب وإحــســـاس

إلىّ فـــاتنـة الندمـــان واســتـبـــقى

هذا الـغـــزال فــمنك الـقـــدّ مــيـــاس

والـنهـــــد ؟ .. ياويـلتـى من حــــالم هزج

إلـى الــتــــــوثـب مـنـه يـرفــع الـراس

يـالائـمى فى الطـلـى أفــــرغـت مـنك يـدى

فـــأنـت فى حــرمـــات الخلـد دســـاس

قل لـلخليـن من يصــحـون مـن غــســقى

أنـتم عـلى طـهـــركـم بـالماء أنجـــاس

كل العباد سكارى فى معيشتهم
والسكر كالخلق أشكال وأجناس

وقد تعرض الديب كثيرا للسجن بسبب إسرافه فى السكر ولم يكن يخاف شيئا إلا الشرطة فكان ينكر فى حرارة أنه يتعاطى الكوكايين بالرغم من إدمانه له وراح يبث شكواه عندما نعي عليه بعض الناس إغراقه فى السكر ومعاقرة الخمر وشم الكوكايين فى قوله :

أفاطم إن الناس قد أكلوا عرضى
وبت لعيناً فى السموات والأرض
يقولون شمّام وما شمّ معطسى
سوى الوردة الفيحاء والنرجس الغض
معاذ شبابى أن يبيت تضيره
هشيما وأن أقضى على جسمى البضّ
أأيس ببياض الكوكايين مبشرا
بأسود عيش فى غياهبه أقضى

وهكذا اندفع الديب إلى الكأس وإلى شم الكوكايين وإلى حياة الليل والصخب والعربدة وراح ينوب تدريجيا حتى أشرف على النهاية ....

الديب ... فى السجن ! ...

دخل الشاعر البائس السجن غير مرة بتهم مختلفة منها التشرد والصعلكة والسكر البين وعدم أداء الحساب وشم الكوكايين والعربدة ! .. وله فى كل ذلك قصائد كثيرة وكان يخالط فى السجن الشذاذ والأفاقين وعتاة المجرمين فنظم قصيدة يصف السجن يقول فيها :

له بفؤادى لذة ووجيب

ومنه لـقـلبى بلـسم وطبــــيب

مـــلأت به الـدنيـــا هـوىً وصـبــابة

وهـلهلـت فــــيـــه الحب وهـو جنيـب

ومـــا صـدَّ عـنى أو لوى دون حـــاجـــتى

ولكـن أخـــلاق الجـــمـــيل غـــريـب

تـهـــــدهده كــــالطـفل إن أنّ أوشـكـا

ويغـــرى بـك الأشـــجـــان وهـو طروب

لقـــد شــبـعت فىّ الأعـــادى شـــمـــاتةً

وبت ومـــالى فـى الوجــود حـــبـــيـب

وأصـــبـحـت مـسـجـوناً بدار بـعـيـدة

تجـــافى بهـــا خـلّ وبان قـــريـب

أأصـبـح مـسـجـونا ومـا كنت مـذنبـاً

ولا حـــزبتنى فى الحـــيـــاة ذنوب ؟

وإخــوان سـجـن قَـبَّـحَتْ من وجـوهـهم

هـمــــوم تَـوالى دائمــــاً وخطوب

فـمنظرهم أضـــحـوكــة كلبـاســهم

ومـــخـــبـــرهم فى الحـــادثات رهيب

بـنو آدم من حــــولنا أم عـــــقـــارب

لهـــا فى الحـشــا قــبـل الجـســـوم دبيب ؟

لقــد كنت فـيــهم يـوسف السـجن صــالحـــا

أفـــســـر أحـــلامــــا لهم وأصـــيب (*)

وكان دخوله للسـجن مـادة ملهمة لشعره المفعم بالألم والحزن والمرارة مما أضاف لشعرنا العربى المعاصر لونا جديدا وطريفا قل أن يوجد له نظير أو شبيه ! ...

(*) مجلة الصباح ٢٦ يونيه ١٩٤٢

فى عالم الجنون ! ...

اقتيد الديب ذات مرة للسجن بتهمة السكر والعربدة فسأله الضابط :- ماذا تكون اليوم ؟ ...

فأراد الديب أن يبرهن له أنه فى تمام وعيه وإدراكه فقال :

– اليوم السبت وغدا الأحد وأمس الجمعة وبعد غد الاثنين ! ... فظن الضابط به الجنون فأمر بتحويله إلى مستشفى الأمراض العقلية وكان الديب فى تلك الحقبة فى حالة يرثى لها .. فقد كان إنسانا محطما غائباً عن وعيه لا يكاد يفيق ولكنه على أية حال لم يكن مجنونا . .

وقد استلهم الديب من هذا المستشفى قصيدة ساخرة يقول فيها :

رعــاك الله مــارســتــان مــصــر

فـــإنـك دار عـــقـل لا جـنـون

حـــويت الـصـابـرين عـلى الـبـلايا

ومـن نـزلـوا عـلـى حـكـم الـسـنـين

ومـن هـبطوا بـهـم من صـرح عـز

إلـى أغـــلال إذلال وهـون

تـراهـم خـائفين فـإن أثـيـروا

بـهـزلة فـأسـاد الـعـريـن

وإن سـئـلوا عـن الأسـرار كـانـوا

كـمـن أخـذوا عـن الـروح الأمـين

(*) – مجلة الصباح / ٢٦ يونية ١٩٤٢

وربَ مـــــــهــــــرج منهم بقــــــول
يـريـك الجـــــــد فـى ثـوب المجـــــــون
فـــإن يـغـضـب بقـــارصــــةٍ تبـــاكى
فـــأبـكى الـعين بـالـدمع الـهـــتـــــون
يـعـــــذبه عــــــبــــــادك كـل يـوم
ويـصلى الـضــــيْم حــينـا بعــــد حين
وكـم فى مـــصـــر من غِــرّ غــبىٍّ
تمتـع بالجـــــمـــــيـل وبـالثـــــمين
ولـو عـــدلـوا لأمـــســى خـــانـكيـــا
يـعـــذب بـالشـــمــــال وبـاليــــمين (*)

وكانت للفترة التى قضاها الديب فى المستشفى آثار حسنة بالنسبة للشاعر البائس فقد استرد صحته وكاد ينسى المخدر ... وعاد لوعيه من جديد ...

(*) – الصباح – ١٩ يونية ١٩٤٢

ثورة المحروم ! ...

قوبل الديب بضروب شتى من الجحود والغَبْن والانكار ، فى أساليب شتى من العدوان فصور عراكه مع شانئيه ووقوفهم له بالمرصاد وإقامتهم العقبات فى سبيله :

إذا قلت قديس يقولون سادر
وإن قلت حيٌّ يحملونى إلى رمسى
تحديت أيامى وقومى بوحشتى
وكم وردوا منى مناهل للأنس
لقد جهلوا يومى ولن يكرموا غَدى
ويا حر قلبى من شقائىَ فى أمسى

وهكذا يبدو لنا جليا يأس الشاعر المرير من قومه فهو لا يطمع فى أن يكرموا غده ماداموا قد جهلوا يومه وأنكروا أمسه .

وانقطعت بالديب أسباب الحياة العائلية المطمئنة ، فهو يشعر بغربة موحشة ولاسيما فى الأعياد والمواسم . . .

كانت أقسى أيام تمر على شاعر البؤس فى القاهرة هى أيام الأعياد فقد كان يرى جيرانه يرتدون ملابس جديدة نظيفة وأحذية لامعة ويتزاورون فى طرب وبهجة وسرور يشهد الشاعر ذلك وهو ذاهل عن نفسه ويتلفت فيرى نفسه : رثاثة وإفلاس وأحزان وغربة ووحدة ودموع !

ويصف لنا فى يوم العيد كيف تجافاه الناس ونبذه الأهل والأحباء :

من زائرى بالعيد ؟ من بالباب ؟
وهمٌ فُقدتُ به رشيد صوابى
من ذا يطالع سحنةً مُغبرةً

فكأنها لعنت بكل كتابِ

والناس مهما أسعدوا فى عيدهم

صرعى خراف فى سعار ذئاب

وكان العيد يقبل دائماً والديب مفعم بالمرارة والحسرة والألم بسبب شدة فاقته وبؤسه وشعوره بالغربة الموحشة وسط أمواج الفرحة والابتهاج والطرب فى العيد . . .

فكان يستقبل العيد بمثل هذه الأبيات الحزينة الباكية :

عيد يطالعنى والعيش منكود

لأنت يوم الأسى والحزن ياعيد

يجدد الناس من لبس ومن فرح

وعندنا للأسى والهم تجديد

المسلمون وقد عشنا خيار همو

كأننا بينهم فى عيدهم "هود"

لو أنصف الناس ما ضحّوا بشاتهمو

بل كان قربانهم للمعتفى جود ... ؟

ولشاعر البؤس طرائف كثيرة فى أيام الاعياد أروى واحدة منها :

كان للديب صديقان جند الدهر لهم ثالوثا من البؤس والعطل وعدم السكن والاشتغال بالأدب ولقد تواصوا أن يقسم كل منهم ما يصيبه بقلمه أو بغير قلمه من الرزق بينه وبين صاحبيه وأقبل عيد الأضحى فهاجر كل منهم فى الجهاد لكسب المال حتى يمكن أن يشاركوا الأمة فى مهرجانها بالعيد ! . . .

وسوّلت للديب نفسه ثم صحت عزيمته على أن يكون سمسارا فى سوق الخراف ورأى الجو مهيئاً للاشتغال كوسيط فى توصيل النعاج والخراف إلى حوزة الموسرين الذين يعدون العدة لمسرات العيد بخروفه المحبوب !

ووقف الديب فى حلقة باب الخلق بحلته الأفرنكية يغشاه بعض الحياء قبل مزاولة العمل ثم أقدم وأخذ يتابع المساومة لأحد المشترين الأثرياء من المعلم محمود بأوصاف تحسين للخروف وإطراء لذمة المعلم ومع أن هذا الخروف كان كالكبش العجوز فقد نعته بأنه لم تمض على ميلاده أشهر ..

وكلما قال الديب كلمة نظر إليه البائع نظرة الجاهل بمأربه وأنكر المشترى مبالغته فى نعت الخروف والحق أن الديب أكثر من الثرثرة التى لم يراع فيها كبرياء البائع ولم يراع فيها كذلك رغبة المشترى في رخص السلعة ! ..

فصاح المعلم فى غيظ وحنق فى وجه الديب :

– وما شأنك أنت ؟

فقال الديب :–أنا سمسار ... سمسار هنا ! ..

فقال المعلم :– إنى لم أرك قبل اليوم فى أى سوق من أسواق البهائم !..

فتمسك الديب بدعواه واستعدى التاجر عليه اخوانه الذين أنكروا وجود مثل الديب إلى جوار الخرفان وأخيرا نادوا الشرطى فجاء ومعه مخبر الحلقة فى ثوبه التنكرى وطلب من الديب إبراز رخصته وإثبات شخصيته وعمله فأسقط فى يد الديب فهو لا يملك رخصة وليس له من عمل اللهم إلا تلك القصائد التى كان لا يدرى طريقا للانتفاع بها .. وأخيرا سيق إلى الشرطة وكلهم مرتاب فى أمره وكلهم متمسك بوجوب التحرى عن حقيقة ذلك السمسار المجهول الدخيل ! ..

وحين عرف الضابط الدعوي وسمع من عبد الحميد الديب دفاعه عن نفسه ضحك ضحكا جهيرا متواصلا إذ كان يعرف الديب من بعض المواقف السابقة التى جمعته واياه ثم قال : اتركوه لى .. وسأعرف شغلى معه ! ..

وأجلسه وأكرم وفادته ثم صرف الديب بعد أن نصحه بالبعد عن مواطن الشبهات ! ..

وذهب الديب إلى فندقه الذى تواعد هو وصديقاه على المبيت فيه وقد كان من فنادق الله المباحة ، كان مسجدا مجاورا للأزهر ! ..

وألفى صديقيه يرتقبان عودته لعله يكون قد أصاب قروشا تدفع عنهم غائلة الجوع وإذ أبصراه مطأطئ الرأس على غير عادته عرفا كل شئ وتأكدا أنه على مثل حالهما من المسغبة ! ..

وجاء صباح اليوم التالى والديب قد أظلمت الدنيا أمامه يرى الناس حوله فى

ثيابهم الجديدة المختلفة الألوان يضجون بالتكبيرات التقليدية المعروفة ينظر إليهم كأنه غريب عنهم وإذ انتهى خطيب المسجد من خطبة العيد وقف عبد الحميد الديب على أثره وأنشد هذه الأبيات :-

ياذابحى الشـــاة فى أفـــراح عـــيـــدكم
هلا بعثتم لنا من طبخها المرقا ؟
يالابسين جـــديدا من ثـيــابكم
هلا بعثتم لنا المتروك والخلقا ؟
ردوا علينا شــبــابـاً كم ذوي وذوى
وشيبكم يانع يسقيكم غدقا !

ولم يفهم الناس على أصح تقدير ما يرمى إليه الديب ... فانصرفوا ! ... وبقى الديب على حصير المسجد طول اليوم ، يوم العيد يأكل الهم والهم يأكله ! ...

وهكذا انقضى هذا العيد الحزين على شاعر البؤس ! ..

وكان فى الأعياد يردد دائماً قصيدة المتنبى الشهيرة :

عـــيـــد بأية حـــال عـــدت يا عـــيـــد
بما مـــضى أم لأمـــر فـــيك تجـــديد ؟

ومن طرائف الديب .. أنه كان جائعا ذات ليلة ... وأشرف على الموت جوعا ... فتلفت يمينا ويسارا عن أي شئ يقتله أو يأكله .. وشاهد مطعما شعبياً فى الحى الحسينى على وشك الإغلاق ، فدخله مقتحماً ، وهو منكوش الشعر منتفخ الأوداج أحمر العينين وصاح فى صاحب المطعم :- هات فرخة بأرز وخضار وموز وبرتقال ! .. وراح يطلب عدة أصناف والرجل يحملق فى وجهه بذهول فصاح الديب به :

- بسرعة .. وإلا أحرقت لك المطعم ... وسلقتك فيه ! ...

فأسرع الرجل خوفا على حياته وعاد بكل ما ذكر الديب فالتهم كل ما طلبه فى زمن وجيز وحان وقت الحساب ولم يكن مع الديب سوى قرشين فقط ، فأخرج مطواة

كبيرة من جيبه وأخذ ينظف بها أسنانه والرجل يلاحظه فى ذعر من بعيد ثم التفت الديب إليه قائلا :- هل تعرف صاحب المطعم الذي أمامك ؟ .. إنه لص ونصاب .. بالأمس أكلت عنده وكان الأكل مثل ما أكلت اليوم وأكثر قليلاً .. أتعرف كم طلب اللص ؟ عشرة قروش فقمت إليه وقطعت أذنيه وأطعمته إياهما ! ..

فتحسس الرجل أذنيه في هلع وذعر ثم قال الديب بعد تمهل :

- كم حساب هذا الطعام ؟ .. فأجاب الرجل فى ذعر :- كفى يابك قرشان !

فدفع الديب قرشين وخرج يتهادى فى زهو وإعجاب ! ..

* * *

ولكثرة ما صادف الديب من الهوان والأذى وكواذب الامال والعهود والوعود تأكد لديه أن الناس قد أجمعوا أمرهم على حربه ومناجزته ، حتى ليخفوا نوره كلما حاول اظهاره ولكنه مع ذلك لا يري فى الناس عدوه الحقيقى ، وإنما هو الدهر ذلك العدو اللدود وما الناس إلا آلات للدهر تستجيب لكل ما يأمر به من إيذاء وتعذيب للديب ! ..

وهذا تجسيم للوهم ولكن الديب كان يؤمن به إيمانا قويا عارما ! ..

وكانت للديب طرائف كثيرة مع أصدقائه .. وكان من عادة الديب أن يجلس فى مقهى الفيشاوى بحى الحسين وكان يطلق عليه « الحى اللاتينى » كما أنه كان يجلس على بار اللواء مع أصدقائه من كبار الشعراء والأدباء .

وكتب أحد الأدباء سنة ١٩٣٤ فى إحدى المجلات يقول عن الديب ساخرا :

(ودعنى أحدثك عن شاعر ضئيل الجسم ناحله ، شاحب اللون حائله ، يابس العود ذابله ، قد ارتسمت صفرة الموت على وجنتيه ، وأطل عزرائيل من فتحات عينيه وضؤل جسمه بقدر ما ضؤل اسمه ، فلو اشتدت به الريح فى يوم عاصف لهصرت عوده كما تهصر أعواد الشجر أو ذرت جسمه كما تذرو الهشيم والمدر ، وعلى ثيابه من الأقذار والغبار ، ما يكفى لسد آبار وردم أنهار ، وهو مع ذلك يرى أن الأرض لم تحمل أجمل منه شكلا ولا أخف ظلا ويحسب أن الله إنما أبدعه سحرا للناظرين ، وفتنة للعالمين ..) قرأ الديب هذا المقال فجاء ثائرا إلى مقهى الفيشاوى حيث كاتب المقال وهو يكاد يتميز من الغيظ ، وجعل يرفع ذراعيه فى الهواء متوعدا وقال :

- والله لأنتقصن أطرافكم ... والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب !

حتى إذا ما عمد أصحابه إلى إرضائه بوسائل الإرضاء المختلفة التى كانت هيّنة

عليهم ضحك وعاوده المرح والسرور ، ثم ما لبث أن تقلص وجهه وكاد الشرر يتطاير من عينيه ، وانتحى بنفسه وبقلمه وأوراقه ناحية ، وكتب هذه الأبيات التى تفيض أسى ومرارة :

تملـون من وصلـى ويغــضــبكم صــدى
فـــواحـــيـــرتى بـين العــــداوة والـود
عـــــداوة ذى حــــقـــــد وودّ مـنافـق
أأحـــيــا صـــريعــا للـنفــاق وللـحــقــد ؟..
شــربـت كــلا الكــأسين ســمّـــاً وعلقــمـــاً
فـــــلاعــــون مـن إلف ولا رفـق من ضــــدّ
ويـلهــــو بى الأقـــران لهـــوا كــــأنمـا
أنا الكـرة الهــوجــاء تخطـفـهـــا الأيدى ...

وكان بعض معارفه يتخذون منه ملهاة وهدفا لفكاهتهم وسخريتهم .. فذات يوم دعاه بعضهم إلى طعام ثم أخلفوا موعدهم وتناولوا الطعام دونه ، ثم جعلوه حديث المائدة وفكاهة المجلس ، فبلغه ذلك فنظم هذه القصيدة اللاذعة :

حظـى ومــــصــــرعــــه فى لـين أخــــلاقى
وفـــيض عطـفى علـى قــومى وإشـــفـــاقى
ومن حــبـتــــه الطّلا أخــلاف نشـــوتهـــا
عـــدا على الكأس طـورا أو على الســـاقى
بين الـنجـــوم أناس قــد رفــعــتــهــمــو
إلى الســـمـــــاء فـــســــدُّوا بـاب أرزاقى

ثم يشير إلى مجلسهم وطعامهم وما تناولوه من الحديث عنه فقال :

لم أدّر مـــاذا طعـــمـــتم فى مـــوائدكم

لحم الـذبيـــحـــة أم لحـــمى وأخـــلاقى ؟ ..

زواجـــــه ! ...

تزوج الديب فى صيف سنة ١٩٣٩ من أرملة شابة تدعى السيدة إحسان أحمد كانت تقطن الطابق الأعلى الذى به حجرته وكانت امرأة وحيدة تعول طفلين أعجب بها الديب وأحبها ودعا الديب أصدقاءه إلى حفل عرسه فظلوا وقوفا فى الحجرة الخالية من المقاعد وكان الديب يرتدى ملابسه الرثة البالية وقدمت جارة عجوز للضيوف قهوة سادة فشعر الديب بالمرارة والأسى فنظم قصيدة « فى مأتم عرسى » :

لقــد علمتنى بالرضـــا عن خـصـاصـتى
وقـــالت مـــعـــاذ الصـــبــــر أن أتـألما
فلـمـــا رأت مـــبكـاى ريعـت وأقـــبلـت
تبـكى مـــعى عــيـشـــا وحظـا تجـهــمـــا
فـــيـــالك عـــيــشـــا كلمــا هم صــاحب
يواسـى عليـــه هـلهل الـدمع مـــرغـــمـــا
أقــام لى الأصـــحــاب عــرســا فــمــذرأوا
به مـــحـنتى تـشـــدو أقـــامـــوه مـــأتما
ولسـت بمخـــتـــار الـشـــقـــاء أو الهـنا
فطـول حـيـــاتى أشــرب الكأس منهـمـــا

ولم تمض به أشهر حتى برمت به زوجه (إحسان) بسبب حظه العاثر وبؤسه واندفاعه إلى الخمر والمخدر يدفن فيهما همومه وضاقت يد شاعر البؤس عن إعالة زوجته وطفليها بالرغم من محاولاته لإدخال البهجة والسرور على أسرته الصغيرة إلا أن حياته العائلية كانت مضطربة قلقة ورغبت زوجه إحسان فى الطلاق ، فنظم الديب هذه القصيدة الباكية الحزينة (*)

(*) الصباح – ١٥ مايو ١٩٤٢

أجـــدك أضنانى حـــديث رحـــيلى
ومـا غـيـر يوم البـعث يوم قـفولى
ظننتُ مَـتـاع العـرس يـبـقى إلى غـد
وأنَّ بُـكورى بيـنه ومـــقـــيلى
وطـوَّفتُ بـالأحـلام نشـوان سـادرا
لـعـلـى بـلـذاتـى أبـلُّ غـلـيـلـى
لقــد رضـيت بى بعلـهـا ، وكـأنـهـا
تـطـلَّبت الـبلـوى بكل ســبــيـل
رأت فـجـأة كـأسى تفـيض لـكأسـهـا
مـعـيـشـة أفّـاق وضـعـف ذليل
فـقـالت وألفـت سـحنتى فى تغـضُّن
مـعـاذ الرضـا أن يُسـتـشـاط حليلى
فـقلت حنانيك اغـفـريهـا جـريمة
فـمـا عُـرفَ الـشـيـطان زوج بتـول ! ..
رأيتـكِ لم يـخلـق سـواك فـريدة
تفـردتِ فى حُـسن وفـيض قـبـول
فـأقـبلتُ لصـاً للجـمـال أصـيـبُـه
وبعض المنى يُرجى بغـيـر عـقـول

فأصبحت قرباناً لحبي وفاقتي

ضحية عهد بل ضحية جيل

ولم يستطع الديب الوفاء بمتطلبات أسرته الجديدة ، فاضطر مرغما لطلاق زوجته وقلبه يبكي قبل دموع عينيه :

على الرغم مني أن أطلق زوجتي

ومالي بها في الكون أي بديل

ولكنني أخشي على الحسن فاقة

فما اخضرَّت الدوحات بين مَحِيل

إذا قلَّ مالي في هواها فإنما

وفائي لها في العيش غير قليل !

وطنية عبد الحميد الديب

عاش الشاعر عبد الحميد الديب فى ظروف اجتماعية وسياسية سيئة . رأي الاحتلال الانجليزى وثار عليه ... ورأى الظلم الإجتماعى وتمرد عليه ... ورأى الجبن والخور من الحكام وضاق به .. ورأى تكالب الأحزاب على السلطة والحكم وقاومه ... كان ذلك فى الثلاثينات وفى بداية الأربعينات ... كان متمردا أبدا ... ثائرا دوما ... وهكذا ثار الديب على كل تلك الأوضاع السيئة بعنف وقوة عارضة لا يرهب قوة باغ أو بطش أثيم ...

وأخذ الديب يدعو للتمرد والثورة على الاحتلال البغيض ولو كان ثمن الحرية الحياة نفسها :

واهتف بشـــعـــبك أن يثــور مـــجـــاهدا

مـــازال خـطب الـغـــاضـــبين خطيـــرا

الـقـــيـــد ضـــوعف وزنـه وإســـاره

والســـجن أصبح لـلبــلاد ســـعـيـــرا

وهو لا يضن بحياته ثمنا لحرية مصر وعزتها :

الـيـــوم إمـــا أن نـعـــيش أعـــزة

أو أن نموت أعـــــــزة الأمـــــــوات

هى ضـــجـــعـــة روحى بهـــا فى جنة

مـــاذا يـهم إذا فـــقـــدت رفـــاقـى ؟

ويرى أن لغة القوة هى التى يجب أن تسود فى تعاملنا مع الاحتلال البغيض :

خلواالـكـتـــابة لـلـمـــدافع والظبى

فلـقـــد كـتـــبـتم باليــراع كـثـيـــرا

أنا شاعر لا كنت فيكم شاعرا
إن لم أكن أسدا بمصر هصورا
خلوا المفاخر للرجولة وحدها
تحيا الرجولة مبدأ ومصيرا

وكان النيب يحلم باليوم الذى يرى فيه مصر القوية العزيزة الحديثة :

إنا لنرقب للكنانة دولة
ملء البسيطة قوة وظهورا
يبنى الشباب جلالها وجمالها
ويذود عنها غدوة وبكورا

وكان يرى أن حرية مصر وقوتها وعزتها لن يحققها إلا قوة السلاح وصلابة العزيمة :

إلى السماء فاصعدى
لا تخضعى لا تسجدى
إلى الدماء للدماء
صوّبى وسدّدى
إلى السلاح للكفاح
لا تراعى واجهدى

وكانت غاية آماله أن يرى مصر الحرة المستقلة العزيزة رغم كل أدوات البطش والقهر والعنف :

إلى السجون أو نرى استقلالنا

فالسجن للأحرار جنات النعيم
ونفذوا إن شئتمو إعدامنا
فعيش الاستعباد فى نار الجحيم

* * *

وكان عبد الحميد الديب لا يؤمن بالأحزاب أو بجدواها ... فأخذ يشن حملة شعواء على تناحر الأحزاب وصراعاتها بالمعارك الفرعية دون أدنى أهتمام بمصر ومصيرها ومستقبلها أو التفكير فى كيفية تخليصها من قبضة الاحتلال الانجليزى الغاشم ..

ومع هذا فإنا نجد للشاعر قصائد فى الثناء على حزب سياسى بعينه ظن فيه خيرا وعلى رئيس هذا الحزب وقادته لم نجد فائدة ولا ضرورة لضمها إلى الديوان .

ولقد حمل الديب على السلطة الحاكمة فى عنفوان قوتها وسطوتها غير مبال بما قد يلحقه من أذى وبطش :

إذا لم تصلح الحكام فينا
فما يرجى لنا أبدا صلاح

ثم يمضي إلى أقصى غايات الجرأة والتمرد فيهاجم الوزراء الذين شغلوا عن الشعب ومشاكله وما يعانيه من آلام وأهوال بملذاتهم ومطامحهم الشخصية فيقول :

أما تستحون لهذا الخراب
وقد هلك الطفل والمرضع
فهذا هو الهول يوم الوعيد
وكلكم راح يستمتع
أفى ساحة الكون بين الدماء
يقام المصيف أو المربع

رئيس الوزارة فوق السفين
يغنى بليلاه أو يسمع
تكال له المتع الوافيات
وللوطن الموت والمصرع
دعوا الحكم لستم كِفاءً له
وما فى هواكم لنا مطمع

هكذا أطلق الديب هذه الصرخة عام ١٩٣٨ فى عنفوان سطوة الاحتلال الانجليزى وحكم الطبقة المستغلة غير مبال بما قد يجره عليه هذا الموقف الصريح الشجاع من ويلات ومشكلات لا حصر لها وأهوال جسام ... وحسبه أنه آمن بوجوب تغيير نظام الحكم من أجل مصر ومستقبلها وعزتها ...

ثم يرى أن مصير هؤلاء السادرين فى ملذاتهم ومطامعهم الشخصية غير مبالين بالشعب وما يعانيه من أهوال سيكون رهيبا وأن لاخلاص لمصر إلا بقوة شبابها وعزيمتهم :

لستم لنا الأكفاء أنتم عصبة
ما فى جهادكم لمصر نصيب
حتما سيأخذكم على أعناقكم
يوم بأخذ الظالمين قريب
يوم الشباب الطامحين وإنه
كغد لمن يرجو سناه قريب

ثم يطلق صرخة قوية ثائرة عالية يدعو للثورة والعنف والقوة والتمرد على الاحتلال البغيض فإن لغة الوعود الزائفة لم تجد شيئاً :

لم يجـــدنـا عـــهـــد الكلام وإن غـــدا
شـــدوا يفـــيض بســـاحـــر النـغـــمـــات
فـــتـكـلـمـــوا نـغـم الـنـضـــال مـــجـللا
بدم الـضـــحـــايا صـــادقى الـعـــزمـــات
لا تـســـمـــعـــوا إلا صـــراخ مـــقـــاتل
ورنين صـــمـــصـــام وقـــصـف قـناة
ومـــجـــاهد فـى الله يـغـــشـــاه الردى
فـــيـــصـــيح : ياوطنى إلـيك حـــيـــاتى

* * *

هذا هو عبد الحميد الديب الشاعر الوطنى الصادق المحب لمصر ... الوفى لها ... وهذه لمحة سريعة من وطنيته وأشعاره التى تفيض وفاء وحبا وصدقا لوطنه .. وهى تصور حقبة هامة من حياته الخصبة العريضة .

فى الوظيفة ! ...

كان الديب يشعر بالمرارة والحزن بسبب ضيق ذات يده ولاخفاقه فى العثور على وظيفة وكان كلما تقدم ليطلب عملا طورد بطلب صحيفة السوابق فيئس من رحمة الحكومة واشتغل لفترة عند أحد الدجالين وكانت مهمته إطراء مواهب ذلك الدجال الزيائن !.. ولكنه ترك تلك المهنة كما ترك من قبل مهنته كمصحح فى إحدى المجلات لقاء قروش وعاد لحياة الصعلكة والليل والحانات ! ...

وكان الديب يطلق صرخاته بسبب إخفاقه فى العثور على وظيفة بسبب صحيفة سوابقه فيقول :

قـــالـوا المؤهـل .. قلـت الجـــوع والـعطـل
يا أمـــة عــز فــيـهـــا الندْبُ والـرجل! ..

وامتدت يد الوزير الأديب عبد الحميد عبد الحق فعين الديب فى وظيفة على الدرجة التاسعة بوزارة الشئون الاجتماعية بمرتب قدره خمسة جنيهات فى نهاية عام ١٩٤٢ ... ولكنهم طالبوه بالمسوغ فاحتمى الديب بالوزير الأديب فقال :

أأبكـى وحظـى فى حـــمـــاك يـغـــرد ؟
وأفـنى ولـى ذكـــر إذا شـــئـت يـخلـد ؟
وأشـقـى شـقــاء الروض جــانبـه الحـيـا
وفى مـــصـــر أكـــفـــاء بعطفك تسعــد ؟
أتـركـــبـنـى فلك النجـــاة وكـلـمـــا
قـــصـــدت بـه شطا يطول ويبـــعـــد ؟
فـــــذد ضـــربـات فـى الظلام تـنـالنى
إذا لم يـكن لـى من حـــيــــاتك منجـــد ؟

وأسند الوزير له عملا فشمخ أنف الدبب واشترى عصا يتوكأ عليها ترفعا وكبرياء ولكنه أفاق من نشوة الفرح بالوظيفة الجديدة حين رأى نفسه بلا مقعد أو مكتب يجلس من خلفه فى الوزارة مثل بقية الموظفين فبعث للوزير بهذا البيت :

بالأمس كنت مشردا أهليا

واليوم صرت مشردا رسميا

ولكنه لم ينعم بوظيفته طويلا إذ أنه فارق الحياة فى ٣٠ أبريل عام ١٩٤٣ (*)

(*) للمزيد من التفاصيل راجع « فيلسوف الصعاليك : عبد الحميد الديب » بقلم محمد رضوان إصدار مركز الراية – القاهرة ١٩٩٩

نهاية شاعر البؤس ! ..

يقول الدكتور زكى مبارك عن الأديب الصادق : [١]

(إن الأديب لا ينبغ إلا إذا ارتطم فى الغواية والبؤس وتلك سنة الطبيعة منذ خلق الأدب إلى اليوم ، ويكاد يكون من المستحيل أن يكون لرجال الأدب روح إلا إن صهرتهم الهموم والأحزان) هذا هو رأى الدكتور زكى مبارك وهكذا كان يؤمن شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب ! .. فبالرغم من أنه كان شاعرا بائسا ماجنا فقد كان يجد لذة فى الإمعان فى هذا السبيل ليخرج شعره كما كان يتخيل صادقا واقعيا ! .. وارتمى الديب فى آخريات حياته فى أحضان الكأس وإدمان الكوكايين فى حانة الحاخام بحارة اليهود يناجى صاحبته الشقية فاطمة ويبثها همومه وأحزانه بعد ما وجد أن الوظيفة التى أهتدى إليها كانت سرابا .. لضآلة المرتب ! ..

وصار الديب ينوب تدريجيا حتى انتهى كشاعر وكإنسان .

وكتب المرحوم كامل الشناوى يرثيه فقال : [٢]

(لقد جاع الديب وأكلت الماشية وتعرى واكتست الاضرحة ، وهو الإنسان وهو الفنان ياصديقى : كيف أبكيك ميتا وحياتك لم تُبقِ فى عينى دمعة أرطب بها ثراك ! ...)

* * *

أما بعد ، فتلك هى سيرة شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب وهذا هو شعره الذى كان يتمنى أن ينشره فى حياته .. نقدمه اليوم لقرائه ومحبيه ..

* * *

وإذا كان أحمد حسن الزيات قد أرجع مأساة الديب إلى أن الطبيعة قد قست عليه ، فلم تزوده بما تزود به الحى الكامل العامل بالكفاية الكافية لابتغاء العيش السائغ الهنئ ، فكان رغبة جامحة لا تحققها قدرة ، وشهوة عارمة لا تضبطها إرادة ورأى نعم الله تفيض من حوله على من يراهم مثله أو دونه ، وليس له منها مورد ولا فضل ، فأطال لسانه الحقد ، ورفع عقيرته الجوع ، وألهب شعوره الألم ، وأمض نفسه

١- ذكريات باريس – ١٩٣١ – ص ٨٤

٢- الاهرام – مايو ١٩٤٣

الحرمان ، فصدر عنه شعره كما يصدر الأنين عن المجروح ، والصراخ عن المظلوم ، والزمجرة عن الساخط ، ولم يفهم الشعر على أنه فن يلذ أو رسالة تؤدى ، وإنما فهمه على أنه سلاح يحمى ، أو شص يصيد وكان منشأ ذلك الفهم القديم للشعر الحديث أنه كان كأكثر الشعراء القدماء لم يعرف الحياة على أنها جد وكد ، وإنما عرفها على أنها لهو وصعلكة ، ولذلك قضى حياته البوهمية البهيمية شهوان لا ينام إلا على المسكر والمخدر ، ولا يتيقظ إلا على الجوع والظمأ !

فإن د . زكى مبارك رغم رفضه لذلك الإتجاه الذى كان سائدا يومذاك بأن البؤس يذكى المواهب ويزيد فى يقظة العقول ، فقد أدان المجتمع الذى ظلم عبد الحميد الديب ، فذكر أن الأديب الحق ليس أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع ، فالديب لم يقتل نفسه عامدا متعمدا « فأنتم خدعتموه وضللتموه ، وفرضتم عليه أن يستغيث بمعروفكم يا أشحاء » وقال موجها حديثه لوجهاء المجتمع « أنتم القتلة لذلك المخلوق الذى وثق بكم ، وأنتم حملة المصاحف .

* * *

هذا هو الديب الشاعر البائس الذى رسم لنا لوحات صادقة صور فيها قصة بؤسه وحرمانه وألمه وعذابه تضعه فى مرتبة عالية مع أعلام شعرنا العربى المعاصر .

وقد اشتهر بأنه شاعر البؤس الذى لا يجاري ولا يبارى حتى وصفه – الشاعر طاهر أبو فاشا – بأنه الفارس الذى لا يشق له غبار فى هذا المضمار ، حيث كان لوناً متفرداً من المكدين من شعرائنا المحاويج الذين تنكرت لهم الحياة فتنكروا لها ، أو بعبارة أصح تنكروا هم للحياة فتنكرت لهم الحياة ، فهذه هى الحقيقة التى جمعت بين حراف الديب وانحرافه ، فقد كان ممروراً ساخطاً باستمرار ، ساخراً دائماً ، ماجناً على أى حال ، كانت حياته رحلة قصيرة فى حساب الزمان ولكنه ترك وراءه معها قصة دامية للفنان الذى ترتفع به موهبته ، وتهبط به نزواته ، فهو مخدور يسير فوق سحابة من الوهم تحمله من حى الباطنية أو حى الزهار . . أو مخمور يترنح ويحمل نفسه متثاقلاً من حانة إلي حانة ، فإذا دبت الحميا فى مفاصله راوده خداع السرور ، وأخذته نشوة السعادة الكاذبة ، فانطلق ينشد أناشيد الوهم والسراب !

هذا هو عبد الحميد الديب وهذا هو شعره النابض بالحرارة والصدق والعذاب ! ..

محمد رضوان

شعر

عبد الحميد الديب

البائس

أذلـه الـدهـر لا مـــــــال ولا سـكـن ..
فـــتى تزيـد علـى أنفـــاســـه المحن ..
إذا سـعـى فـجـمـيع الأرض قـبلتـه ..
وإن أقـــام فـــلا أهـل ولا وطـن ..
مـــهـــاجـــر بين أقطار الأسى أبـدا ..
كـــأنه بيــــد الأرزاء .. مُــــرتهـن ..
كــــأنه حـكـمــــة المجنون يـرسـلـهـــا ..
من غـيــر قــصـد فـلا تصـغى لهـا أذن ..

* * *

ثـيـــابه كـــأمـــانيــــه ممزقــــة ..
كـــأنهـــا - وهـو حيٌّ - فـــوقـــه كـــفن
هو الـهــدى صـرفـــتكم عـنه .. مــحنتـــه
إن الـعـــزيز مـــهـين حين يمتـــهـن
ألا فـــصـــونوه من أرزائه كــــرمـــا
ولا تـخـلـوه يـورى شـــــــره الـزمـن
فــربّ عــزم يثـيــر البـؤس فـيـصله
فـينبـرى لـســبـيـل الشـر لا يـهن

الطلل الباكى ...

لو أستطيع البكا يا أيُّها الطلَّلُ
بكيتُ حتى شكَتْ من دمعى المقُلُ
أرى الحوادِث آساداً .. مُقذفةً
علىّ دون الورى تعدو وتقتتل
فكم تصوّح عودى بعد نضْرته
وكم خَبا فى دياجى عُمرى الأملُ
وكم دعت لى أُمّى وهى باكية
وكم دعا لى أبى يقْظانَ يبتهل
وأجلس الليل فى صحبى أسامرهم
وكلهم بمجالى رقتى ... حفَلُ ؟
حتى إذا سلموا للعَوْد وانصرفوا
سرَيْتُ جوعان يفْرى عزمى الكللُ

* * *

جوعان ! .. يامحنةً أربتْ على جلدى
كأن ليلى بيوم البعث .. مُتَّصل
كأنَّ حظى رحيقُ الدهر يشربها

بِكْـراً مــــعــــتــــقــــة فـــالدهـر بى ثَـمِلُ
فـــإن تطلبتُ عـــيـــشى مت من كـــمَـــد
وإن تـطلبت حَـــيْـنى يبـــعُــــدُ الأجَـلُ

وصف راقصة ...

عَربدَ الحسن فَجُنَّ السامرُ
وعرا السُّمار أُنسٌ غامَر
رقصت أم زلزلت من رقصها
كلّ قلب فهو ناء ... حاضر
الشيوخ القُعْددُّ استجلوْابها
كل حسن ، والشبابُ الباكر
ذلك الرقص صلاةٌ وهدى
ودعاء مستجاب طاهر
ويد تستلهم الله التقى
وفؤاد بالأمانى ... عامر

دمع المنازل ...

بَواد كـــــــــدار الخـلـد بـر المنـــازل
شَـقَـيتُ فـمــالـى لا أفـوز بطـائل ..
أُقـــضّى بـه فـى لـيـلـه ونـهـــاره
مــعـيـشـة أفّـاقٍ ووحـــدة ثـاكلٍ
وكم ســألونى كـيـف تشـقّى مع الحِـجـا
وفى شـعـرك الهـامى عِـذابُ المَناهلِ ؟
فـقلـتُ بهـذ ا الشـعـر بؤسى وشـقـوتى
كـمـا قـتل الصَّـدّاح زهْرُ الخـمـائلِ
فـلا تسـألونى عـن دمـائى وسـفكْهـا
سلـوا بدمى الغـالـى جـريمة قـاتلى
فكم مـرّت النُّـعـمى علىّ بسـيـمـةً
فـأبـعـدها عنى وضـيـع الوسـائل

* * *

ورفض لـئـيم كـاشحٍ الـصـدر حـاقـد
مـنالـىَ أرزاقى بـهــمّــةٍ . . عـــامـل

* * *

بكتْ بلدتى حــزنًا علىّ وحـــســرة
وأحــزن مــا أبصـــرتُ دمعُ المنازل
وكم نَدَبتّنى فى حِــمَــاها ضـــريرة
تنوح بصـــــوت هَــالعِ الوقع ذابل
وشـــــيخٌ أبىٌّ الدمع إلا بمحنتى
وفى ثوبه مــجــد الكرام الأمــاثل
همــا والداى الصــالحان كــلاهمــا
على شــدة البــأســاء موئل ســائل
فــيــارب .. إمــا نعــمــة من حـصــافتى
وإمــا حــيــاة فى حــمــاقــة جـاهل ! ..

بؤس الشرف

ياذلَّة العـــيش بين البـــؤس والشـــرف
عـــيشى هـو الموت في الحـــرمـان والتـلف
إذا تـناولـتُ نجـــمـــاً فى مـــحـــاولـة
رأيتـــه حـــجـراً صـــفـوان مـن خـــزف
ولو كـــشـــفتُ كنوز الأرض مـــا ظفـــرت
يداى منهـــا بـغـــيـــر الحـــزن والأسف
لعنتَ يارب غـــيـــرى واغـــتـــفـــرت له
هلاَّ غـفـــرت لشاك غـير مُـقْـتـرف ؟ ! ....
أعـــيش فـى أُمـــة ضـــاقـت رغـــائبـــهـــا
بالـدّرِّ وانصـــرفت حـــمَّـــالةَ الصَّـدَف
يمضى العـــبـــيـــد بهـــا فى كـل ناحـــيـــة
مـــحـــملين من الأنعـــام والتـــحف
إذا رغـــبت عـــبـــيـــدا فـــالـتـــمس مـــلأً
بمصـــر يحـــيـــون كـــالأنعـــام بالعـلف
أطـعـــــمـت يـارب هذى الـنـاس من ذهـب
ونحـن قـــيـــد الطوى نـشـــتـــاق للرُّغُف

وكنُت أول مـن يشـــــدو لمـؤْتـلـف
فـــبتُّ آخـــر مـن يرثـى ... لمخـــتلـفٍ
وضـــمنى الدهر والأمـــوات فى جَـــدَث
نـرجـــو المراحـم من بَادٍ ومـــعـــتكـفٍ

* * *

أبى ! ... وأيـن أبى حـــيّـــاً ووالـدتى ؟ ..
لقـد حـسـبـتُـهـمـا فى صـالح السلف
فـالبـؤس أبـعـد عنى كـل مـقــتـرب
حـــزنـا وقـــارب مـنى كـل منصـــرف
وردّنى فـى الصـبـا شـيـخـا يـضـيـق بـه
عطف القلوب سـوى هاو ومـحـتــرف
وأطمع الوغـــد فـى تبـريح مـتــربتى
وأركـب النـوكَ فـوق الصـــدر والـكـتف
أحـيـيتُ بالشـعـر أمــواتا فـأهلكـنى
لأن سلـمى بـه حـــرب لمنتـــصـف
لاهُمَّ ضــاع شــبـــابى وانتـــهى أجـلى
ولـم أذق نهـلـة من كـــوثر الشـــرف
مـعـيـشـتى صـدفـة والموت أرقـبـه
مـهـمـا يـطل زمنى من عـشـرة الـصـدف

أباة الضيم ...

دمــــوع الثَّـــواكـل لا الـغـــانيـــات
وســؤل الـيـتـيـمـات لا الـسّـادرات
أقمْ وجـــهـك الســمح فى المكرمـــات
لـكـلّ كـــريم عـــصـىٍّ الشّكاة . .
فكـم مُـعـــوزٍ قـــد كــســـاه الإباءُ
حـــصـــانة ذى الـقـــدر الغـــاليـــات
فـــيـــقـــضى طوىً دون أن يجْــتَــدى
ولا يذكـــر الجـــوع حـــتى الممـــات
وأسـخَنُ من عـــبـــرات الـعُـــفـــاة
حَـــبـــيسُ الـبكـا بـعـــيـــون الأُبـاةَ

* * *

إذا أغـــفـل الـروض صـــوبُ الربيعِ
يحُـــــولُ إلـى بَـلقَـع أو مـــوَات
وإن أعـــوز الحـــسنَ نيلُ الكفـــاف
جـرى العُـهْـرُ للخُـرَّد المحـصنات
وكـم حطـم الـفـــقـــر كُـنّ الخـــدور
فـــذرّى بـه زعـــزع الســـافـيــات

وللصامتين وللصابرين
نداك ، وجنبه مَنْ قال هات
لمن يصطلون وهم صابرون
لظى الفقر والمحن المهلكات
رجال نساء ، لهم في الممات
غرامٌ لفقرهم في الحياة

في وصف الحبيب

خلال أطلاله رغم الضنى جاسا
صَبٌّ طوى العمر وجدانا وإحساسا
ردَ الشبيبة كهلاً من مدامعه
رد الربيع هشيم النبت حساسا
بكى بكاءين من قلب ومن بصر
وصب دمعين متلافا ومئناسا
أحببت والبؤس تقصيني مخاوفه
فبت أضرب للأسداس أخماسا
أحببت أنعم من حدثته ، رشأ
به سمات الهوى روحا وأنفاسا
به شحوب يكاد الصب يأكله
أكلا ويشربه دون الطِلى كاسا
وإن تكلم فاسمع أيَّما ضحك
يريك أي جمال يسحر الناسا
لو كان مقول "غندى" من رخاوته
ما قسم الهند أطهاراً وأنجاسا
وإن تثنى على كرسيِّه ورنا
فاسخر من البان صدّاحا وميّاسا

مصرع الحظ ....

حظى ومــصْــرعُــه فى لـين أخــلاقى
وفـيض عطفى على قـومى وإشــفـاقى
ومَنْ حَــبـتْــه الطِّلا أخـلاف نـشْـوتَهـا
عـــدا على الكأس طـوراً أو على الـســاقي
بين الـنجــوم أناس قــد رفــعــتــهـمُ
إلى الــســمــاء فَــســدُّوا بـاب أرزاقى
وكنت نُوح سَــفـينٍ أُرسِلتْ حــرمــاً
للـعــالمين فــجـازوني بإغــراقي
وكم وقــيـت الردى من بتٍّ مــضـطربا
فى أســره المرّ لـم أظـفــر بـإطلاقـى

* * *

يـاأُمــةً جــهِلتْني وهى عــالمة
أن الـكـواكـب مـن نـورى وإشــراقى
أعــيش فــيكـم بـلا أهل ولا وطـن
كــعـيش مُنْـتـجعِ المعـروف أَفَّــاقِ
ولـيس لـى من حــبـيـب فى ربـوعكـم

إلاَّ الحَبيبْين : أقلامى وأوراقى
ريشَت لغدرى سهام من نميمتكم
فصارعتنى ومالى دونها واق ...
لم أدر ماذا طعمتم فى موائدكم
لحم الذبيحة أم لحمى وأخلاقى ؟ ..

* * *

قالوا غَوِىٌّ شقىٌّ قلتُ ياعجبا
قد امْتُحنتُ بفُجّار وفُسّاق
وما تألمتَ من خَطب ضحكتُ له
كما تألمتُ من خَطْبى بعُشّاقى
أنا على القُرْبِ منهم كلٌّ متعتهم
وإن نأيتُ حَسِبُونى فَيْض أشواق
فمالهم قد أشاعوا كُلَّ مُخجلة
عنى ، و أعلنوا بؤسى بأبواقَ
كصاحب الطَّير لا ينفكُ يسجنه
سجنين من قفصٍ مُضْنٍ وأطواق

* * *

حظى هو الأيكة الخرساء ذابلة
هو النسيم سَمُوماً غير خَفَّاق

هو السـحـاب جَـهـَامـاً والندى أسِناً
هو الضـيـاء لهـيـبـا حين إحـراقَى
كـأنهً أذرع شَـلاءُ راحـتـهـا
أو أنه أعينٌ من غـيـر أحْـداق
لا تـسـألونىَ عن بؤسى وعـلَّتـه
سلوابه الحظ مَـيْـتـا فـوق أعناق ! ..

غنى الجار...

أهلٌ بهـــا لله راضـــيـــةً نفـــســى
وأشـــربهـــا فى الـصـبـر مُـتـرعـةً كـأسـى
عَـلَى مـــوهـبـــاتى ألف دَيْنٍ لأمـــتـى
على أننى فـــيـــهـــا لدى مِـــحَـنِى منسى
رفـعـتُ حـجـاب الشـمـس فـيـهـا فـأطلعتْ
عَلىَّ الـنهـار الـصـحـو خلواً من الشـمس
واحـــتـــمـل الدنيـــا كـــأنىٌّ خلقـتـــهـــا
وأن جـــمـــيـع الخلق عُـلِّقَ فى رأسـى

* * *

إلى الـقـــرب منى كـنز قـــارون مـــاثلا
ولمَّا أنـلْ منـه ســوى حُـــرقَـــة اليـــأسَ
فـــفـى بيت جـــارى آثـر المالَ وكُـــرهُ
فَـــيُـصـــبح فى لمَع الثـراءِ كـمـا يمسى
وجـــارى جـــمـــاع البـــاخلين وظلـهم
فلم يَدَعُ مـحـرومـاً بعـيـد ولا عـرسِ
له أســـرة كـــالروض زهـراً وَصَـــادِحـــاً

فَمَنْ شَامَهَا ألفى ملائك فردوس
بنون ، بنات ، مثل ورد منضَّرِ
يمرُّون كالإصباح معتدل الطقسِ
يمر على سُكْنَاى فى ذَيْلِ بيته
مرور عيون الموسرين على الفُلس
تكبَّرّ فالألفاظ منه إشارةٌ
كأنَّ عباد الله طُرًّا من الخرس
وإن نطق الفصحى فمن طرف أنفه
كنفخة ذي جاه ومال من الفرس

* * *

صحوت على قَصْفِ الرّياح وصوته
وما أحدث الطرق الخَليع من الجرْس
يطالبنى بالأجر فى غيظ دائنٍ
تصّيده المحتال بالثمنِ البخس
وقال يدارى ظلمه : أىٌّ ضامن
لسُكْنىَ تَعرَّتْ عن سرير وعن كرسى ؟!
أَراك بها كل الأثاث ولا أرى ...
سوِى قلم ثاوٍ على الأرض أو طرس ! ..

* * *

فـقـلت له : هـذى جـدودى كـمـا ترى
فـمـا مسكنى فى البـيت ، بل أنا في رمـسى
وقلت مـعـاذ الدَّيـن مـا كنتُ مـرة
غـريماً ولا أذلـلت يـومـى ولا أمـسـى
وأسـمـعـتُـه صـوت الدراهـم فـانحنى
يقـدم أعـذار اليـهـود من الـوكس
وأخـضـع فـقـرى كـبـره وثراءه
وأىّ غِنىً للمـرء غـيـر غِنَى النفس ؟ ..
إذا كـانت السكنى بأجـر مـذلـةً
فـمـا أرحب المجّان في غـرف الحـبس
فـإنـى أرى فـيـهـا الطعـام ، ولا أرى
غـريما ، يُلاقـينى بعـارضـة النحس
وإن لم أجـد فـيـهـا الطعـام مـيـسّرا
فـإنـى رضىّ البـال .. أطعم من حـسى ! ..

يارية الدار ...

يـــاربـــة الـــدار لا تـــرثـــى لأرزاقـــى
قـــد قـــدر الله إســـعـــادي وإمـــلاقى
مـعـيـشـتى بين مـصـر أصـبـحـت مـثـلا
لـعـــبـــقـــرىٍّ غنىّ النفس أفّـــاق
والـبـــؤس يا هـذه حـــبـلى وآصـــرتـى
إلى الـســمـــاء تريني فـيـض خــلاّق
بالـمـــدامـع من خـــرسـاء نـاطقـــة
تـذيع حـــرمـــاننا من كل إنفـــاقٍ

* * *

لم أبك جـــوعـــان أو ظـمـــآن بل شـــغـــفـــا
في رق ســـجـنى إلى عـــتـــقى وإطـلاقى
وعـــــز أنمـاط قــــومى مـن ثـرائـهـمُ
يفنى ، وعـــزّىَ من بؤسى هـو البـــاقى
عـــزّى بصـبــرى وإيمانى وتضـحـيـــتى
وبالحـــفـــاظ على دينى وأخـــلاقى . .
تبـكين من طول تبـــريحى ومـــتـــربتى

ومنْ جـــــراحيَ في قلبي وآمـــاقي ..
وأنت ورقـــاءُ روضي ليس يَقْـــدحُني
ســـوى جـــواك على غـــصني وأوراقي
أنا الـذبيح مـــدى عــمـــري ومن عـــجب
أنـي حُــــرمت بخطبي كل إشـــفـــاق

فى مأتم عرسى ! ..

لقَــد علَّمتْنى بالرضــا عن خــصَــاصَــتى
وقــالـت مــعَــاذَ الـصـــبـــر أن أتـألما
فلــمـــا رأتْ مَــبْكـاىَ ريعَتْ وأقــبـلتْ
تُبكِّى مـعى عـيــشــاً وحظًّا تجــهَّــمــاً
فــيـالـك عـيــشــاً كلمــا همَّ صــاحبُ
يُواسى عليــه هَــلْهلَ الـدمع مــرغــمــا
إذا ســجــعــت ورقــاءُ تبــعث فــرحــتى
تنوح غــراباً فــاحم اللون أســخَــمَــا
وإن هُيــئت لى بـالمدامـــة مـتـعــة
رأيتُ مــريرَ الحــزن بـالكأس خـيــمــا
وقـــد مــرّ بى عــصـــر الشـبــاب ، كــأنما
طلعت على الدنيـا مـشـيـبـاً مـحـطمًـا

* * *

أقــام لىَ الأصــحـــاب عُــرســاً فــمــذ رأوا
به مـــحـنَتى تشــدو أقـــامـــوه مــأتما
وروّى الـعطـاشى من نمَـيــرىَ بـينمـــا

سُقيت به مُهْلاً حميما وعلقما
لقد نجح الإجرام حتى رأيتنى
إذا رُمْتُ بعض العيش أصبحتُ مجرما
ولست بمختار الشقاء أو الهنا
فطول حياتى أشرب الكأس منهما
لقد حسدونى ليتنى كنت دونهم
فؤادا وأقضى بعض عمرى منعما
وتغرى بأحزانى خطوبى فاعجبوا
إذا عشتُ يوماً مؤمن القلب مسلما

عيد بؤسى . .

مَن زائرى فى العيـــد ؟ .. من بالبــاب ؟..
وهمٌ فــقــدتُ بـه رشــيـــد صــوابى
مَنْ ذا يطُالعُ ســـحْنةً مُــغْــبــرّةً
فـكأنـهـــا لَعُنِتْ بكل كـــتـــاب
ياغــرفــتى مـا عَـشت أحـبُوك الـرضـا
فلـقــد حــجــبت عن الورى أوصـــابى
فــعلى ثَراكِ عــفــرْتُ جــســمى نائمــاً
كــثــري البــقـــيع لـعـــابد أوّاب
ووقـــيـــتـنى فى مــدمــعى وشـكايتي
أذنَ الـلــئـــيــم ، ونـظـرة المـرتـاب
جُنّ الظـلام وقــد تـوارى عـــيـــدهم
وذوى رواء البـــشـــر والـتـــرحـــاب
فــخــرجت بعــد العــيـد أخــفى شــقــوتى
مـــتظـاهرا بـالزهـو والإعـــجـــاب! . .

* * *

مــــــا آدنى إلا بــكـاء حـلـيـلـتى

حـزنا لـبؤس شـبـابـهـا وشـبـابـى

تـرنو إلـى جـيـرانـنا فـى يـسـرهـم

رنو الـيـبـاب إلي هـمـيـل سـحـاب

وهى الـصـبـور إذا عـرتـنا مـحـنةٌ

لم يـدر غـيـرى مـا يخـبـئ بابـى

وإذا انـتـصـرنا فـى حـروب مُـرّة

فى عـيـشنا عـفّت عـن الأسـلاب

والناس مـهـمـا أسـعـدوا فى عـيـدهم

صـرعـى خـراف فـى سـعـار ذئاب

حـرم الأناسىّ الـلحـوم وإنـهـا

قـد أصـبـحـت فى مـصـر طعم كـلاب

ولو أنـهم وصلـوا الـفـقـيـر بعـيـدهم

مـن رزقـهـم لـنجـوا من الأوصـاب

* * *

أنـا جـالس فـى مـوكب حـلقـاتـه

ضـمـت أعـزّوجـاهـة وجناب

مـن كل مـزحـوم الـطـرائق لـلـغنى

أو والـغ فـى الجـاه والألـقـاب

أو مـدّعٍ أن الـنـبـوة أصـلـه

متطاول بوجاهة الأنساب

كشفت رجولتهم وجوه خصاصتي

فرأت بها وردًا لكل سراب

قد زوروا هيباتهم وتفننوا

في كرنفال البأس والإرهاب

* * *

والبؤس أعمى أو أصم، فأهله

نهب لغش الداعر الكذاب

غرقى بأمواج الحياة وربما

ينجو الغريق بواهن الأحطاب

قد خلت بالأصحاب بعض هناءتي

واللؤم كل اللؤم في الأصحاب

هم قادرون وما تشاء خلالهم

أن يكشفوا كربي وسوء عذابي

لكنهم حذقوا الهروب من الندى

بملامتي في شقوتي وعتابي

والحسم أصرح في الردى من خمرة

فيها الردى من تالف الأعناب

ذبحوا الخراف مخافتين وجددوا

فى عيدهم من فرحة وثياب

أنا لست أستجديهم لكننى

منهم أقر براءتى ومتابى

إن فاتنى عيد الحياة ويسرها

سأرى هناء العيد يوم حسابى !

فى الحانة المظلمة . . .

يـاحـــــانة من طلاها تـشــــرب الكـاسُ
وفـى دجـتـــــهـــــا لـلـقـلـب إيـنـاسُ
شـــذى المدام وأرواح الســـقـــاة لـهـــا
كـــــالروض عـطرّه الـنـســــريـن والآسُ
يـاشـــــادنـا فى يـديـه الـكأس فـــــاتنة
كـــأنما خـــمــرهـا حُبّ وإحـــســــاس
إلىّ فـــاتنة الـنّدْمـــان واســـتـــبـــقى
هذا الـغـــزال فـــمنك الـقـــدّ مـــيّـــاس
والنـهـــد ؟ .. يـا ويـلتى من حـــالـم هزج
إلـى الـتـــــوثّـب مـنـه يـرفـع الـراس

* * *

يـا لائمـى فى الـطّـلا أفـــرغتُ منك يـدى
فــأنت فـى حُـــرمـــات الخـلد دسّـــاس
قل لـلـخلـيين من يصـــحـــون من غـــسـقى
أنـتم عـلـى طهـــــركم بـالماء أنجـــــاس
كل العـــبـاد سكارى فـى مـعـيـشـتـهم
والـسـكـر كـــــالخـلـق أشكـال وأجـنـاس

شم الكوكايين

أفاطمُ إن الناس قد أكلوا عرضى
وبتّ لعيناً فى السموات والأرض
يقولون « شَمّامُ» وما شمّ معْطسى
سوى الوردة الفيحاء والنرجس الغضِّ
معاذ شبابى أن يبيت نضيره
هشيما وأن أقضى على جسمىَ البض

* * *

أليس بياض « الكوكيين » مبشّرا
بأسود عيش فى غياهبه أقضى ؟ ..
فمن فقد عقلٍ كان مبعث حكمة
إلى البؤس فى ذل السؤال أو القرض
إلى السجن بين المجرمين يؤودنى
زمان كيوم الحشر يأتى ولا يمضى

لماذا البؤس ياربى ؟ . .

أيهنيك أن أبكي وعـــيـــشك ؛ يبـــسمُ
ويرضـــيـك تبَــــريـحى وأنـت منّعمُ ؟ . .
مـضى العـمـــر لم أُدرك به يوم مـاجــد
وأنـت على طول الحـــيـــاة مكـرَّمٌ
وجـيـع لنفـسى أن أرى منك فَــرْقَــدا
وأنـت الـثّــــرى تعلـو علىّ وتـعـظـم
وفى قـــســـمــــة الأرزاق عــدل وإنما
هُنـالكَ ســـرٌّ فى الســـمـــاء « وطلسم»
فـيــارُبّ مــحــروم من الرزق مَــحْلهُ
لـكل عـــبــاد اللـه خـيـــر وأنعم
وفى قلبـــه المقـــهـــور نفس نبـيــة
تحــدّث عن ســـر القــضــا وتتــرجم
ورُبَّ حـظيـظ لـيس يـدرى غـــبـــاؤه
أجنة خلد عـــيــشــه أم جـــهـنم ؟ . .
إذا الناس لَم تنقـم من الديب حـــاقــداً
فـلـلـذنب تـلـو الـذنب الـلـه يـنـقـم

أأكـــفــر مـن بؤسى بـأحكام خـــالـقى ؟ . .
كَـــفى بِـى رزقـــا أنـنّى الـدهر مـــسـلم
لمـست حـــــدود الأربعـين وكـلـهـــــا
لعـــيني كـغـضـبـــات الـبـــراكين مظـلم
إذا عظـمت بأســـاء عـــيـشى ومـــحنتى
فـــصــبـرى عـلى الـبـأســاء أقـــوى وأعظم
ولستُ كـــمـــا ظنّ العـــواذل خـــامـــلا
ولـكننى فـى صـــرعـــة الموت مـــرغـم
إلـى وثـبـــــات فـــــوق رأس نـوائـيى
وإلا فـــإنـيّ دونهـــا ســـوف أعـــدم
فـليس بحـيًّ من يُرى مـــتـــســـوّلا
ومـن دونـه الأوشــــاب تـغـنـى وتـغـنـم
إذا المـال لم يـشـف الـغـليـل مـن امـــرىء
فـــأشـــفى مـن المـال المـنـيـــة والـدمُ
وإن أنـت لم تـدرك حنانا لـعـــيـــشـــة
فـــــإن الـردى أحـنـى عـلـيك وأرحـم
* * *
رضـــيت رضـــاء الحـــاقـــديـن وإنه
لأولـى لنفـــسى فى الحــيـــاة وأسلم

فـــإن لم يُـفــــدنى فـــارقـــبـــونى جـــريمة
إذا عـاش فـى مـصـر صـــفـيق ومـــجـرم ! . .

ثورة مظلوم ...

شـقـــيت إلى أن قـيل قـد ذلّ واجـتـــدى
وأصـــبـــحتُ لا صـــوتاً أرجّى ولا صــــدى
مـن الظـلـم تحطيم الحـــســـــام لأنـه
بكـل جـــهـــاد فى الحـــيـــاة تجـــرّدا
وقــطـع يـدٍ فــى الـلــه والحــق حــطّـمــت
ســجــونا ، وفكـت من أذاها مـــصـــفّــدا
وحـــرمـــان مـــوهوبٍ من اليــــســـر بينمـــا
كـــســـا اليـــسـر أوشـــاب الكنانة عـــســجــدا

* * *

شــكوتُ ، ومــــا شـكـواى ضـــعـف وذلّـة
فلـست بمـســـتـــجـــد ولا طـالـبـــا يدا
ولـكـنـنى أفـــحـــمتُ ظـلمـــاً بمنطقٍ
من الدهـر لم تـبلـغ غـــبـــاوتـه مـــدى
دمى دم أكــــفـــاء الحـــيــــاة ونـظرتـى
بهـــا للمـــحـيط الضـــخم لا الطل والـندى
أجـــدّد للـدنيـــا نشـــاطى وهــمـــتى

فـــتنفـــحنى الدنيـــا شـــقـــاء مـــجـــددا
تُســـــولّ لى نفـــــــسى المنون لأننى
أرى خـــيـــر مـــا ينجى من العـــالـم الردى
فـــأمـــسك ضناً بـالشـــبـــاب وبـالحـــجى
وأبقـى على عـــمـــرى فـــلا ينتـــهى ســـدى
أأسْـــجنُ مـــن عـــون اللهـــيـف وغـــوثه
ونصـــــرتى َ المظلـوم ســـجنا مـــؤبداً ؟!
أيـــئـــسنى قـــومـى لأنى شـــاعـــر
أهلـهل فـى الآلام شـــعـــرا مـــخلدا؟ . .
وشـــدتُ كـــمـــا شـــاد النبـيـــون شـــرعـــة
تنـــزّل فـــيـــهـــا الـوحى شـــعـــرا مـــردّدا
وقلـت ، وقـــال النـاس ، لـم يـبق قـــولـهم
بيـــانا ولا ســـحـــرا فـــأربيتُ منشـــدا

* * *

يمينا لئن لم يؤمنوا بقـــضـــيـــتى
لأمـــضى إليـــهم ســـهـم ظلمى مـــسدداّ
ســـأرقب عـــدلاً من قـــضـــاتى فـــإن أبواْ
أبَتْ قـــوتـى فى الهـــجْـــو أن تـتـــقـــيـــداّ

موت الشيطان ! . . .

كل شئ أشـــــهــــد الله عـليًّــــا
فـــرّت الدنيـــا جـــمــيـعـــا من يـديّا
لا تقـل لى كــيف تحـيــا ســادراً ؟ . .
أنا مـــيْتٌ بين قــومى لست حــيّــا
ســـرٌ هذا البــؤس أنى شــاعـــر
قـــد أفــاد الدهر منى عــبــقـــريّا
عـندمـــا كـنت بحــانى شـــارباً
كنت أصــغى للمـــصلى يتـــهــيّـــا
رنّة الـتكبـــيــر فى ســمـــعى مــحت
رنَّـة الكـأس وأودت بـالحـــــمــيّـــا
والمـصلّون لدى تــســبـــيــحــهـمْ
صــيـــرّوا الـندمــان فى عــينى نِـسيّــا
مظهـــر التـــسبــيح والتـــقـــوى بـهم
قـــد ســقـــانى الـكأس إيمـانا ســـريّا

* * *

يــاصــبـــوحى يا غـــبـــوقى ضَلَّةً

لـكمـــــا منى بكـورا أو عـــــشـــيّـــا
وهـبطـت الـروض والـلـيـل سَـــــجَـــا
قـــــد أجنَّ الـطـيــــــر والـورد الـنـديّـا
كـل مـــــا فى الـروض حــــتى تـربـه
سـبّح الرحــمـن تسـبـيـحــاً خـفـيّـا
وهـــــنـــا أدركـــتُ أنـــى لـــم أعـــش
وأنـا المسـلـم إلاّ جـــــاهـلـيّـــــا
قـــد تخـــذت الـشـــعـــر تـوحــيـدى ولم
أتطـهّـــر فـــجنى الشـــعـــر عليّـــا
بـيـنمـــــا أســــرف فى وصف الـطّـلا
والـهـــوى لـم أدّخـــر لـلـه شـيّـــا
أنـا أو إبـلـيـس لـلـدنيــــــا عـــــمى
هـو خـــــافٍ وأنـا أبـدو جـلـيّـــــا! . .

* * *

قـلـت ربى : . . وأنـا جـــــــاث لـهُ
فـــحـبـــانى لطفُـه قـلـبـاً رضـيّـــا
تُـبْـتُ مـن ذنـبـى ومـن تـرجـعّ بـه
نفـــسـه لله يـبـــعـثـه نقـيـــا

تـوبةٌ مـن بـعــــد أن فــــزت بـهـــا
كـل شيءٍ صـــارفى عـــينى هنيًّـــا
فـــتـــرانى فى الســـمــوات الـعـــلا
أصـــحب الـشـــمس وتعنولى الثـــريّا
ولـدي ســـــدرتهــــا فى مــــوكـب
مـــا حَـــوَى إلا مـــلاكـــا أو نـبـيّـــا
وعـلى الأرض شـــهــــابا لامـــعـــاً
من صـــفـــاء الـقـلـب أو نور المحـــيّـــا
فُـــتـــحتْ أبـواب أرزاقـى بـهـــا
فـــســـقـــانى خـيـــرها شـــهـــداً وريّا
ونـأت عنى هـمــومى بـعـــدمـــا
أصـــبح القـلـب من الـدنيـــا خليًّـــا

* * *

وسـل الليل فـــمـــا أغـــفـــو بـه
غـــيـــر أرمـــاق ، ومـــا تجـــدى عليّـــا
هـذه آيـة عـــشّـــقى كـلمـــا
جُـنّ ليـلى ظَـلْتُ ســـهــــرانَ مـليّـــا
لا يـواتـيـنـى الـكـرى حـــتى أرى

طيف حـــبى ، فـــأُحـــيِّ وأحـــيَّـــا
فـــإذا حـــدثتنى ألـفـــيـــتنى
غـــائب المهـــجـــة لـله نجـــيَّـــا

* * *

أين شـــيطـانـى وأيـنت ريـحـــه ؟ . .
كـــان يـهـفـو فى الـدُّجى روحـا عـتـيـا
أكـلـه أو شـــربـه من هـجـــرتى
فى ظـلام الشـك أفّـــاقـــاً شـقـــيّـــا
فـــقـــضى يوم الـهـــدى إذ لـم يجـــد
أى شِـــرْع ينتـــهى منه إليـــا
جنة المحـــراب تشـــوى جـــســـمه
وأنـا لـم أغْشَ بيـــتـــاً أو نـديّـا
مـــات شـــيطـانى ، وهـاكم جنـده
هيـنمـــوا بـالدمع أشـــبـــاحـاً بُكيّـــا

فى غرفتى . . .

أفى غُــرفـــتى يـاربُّ أم أنا فى لحـــدى ؟ . .
ألا شـــدّ مـــا ألقى من الـزمن الـوغـــد
وهـل أنـا حـىٌّ أم قَـــــنضَـــــيْتُ وهـذه
إهابـة اسـرافـــيل تبـــعـــثنى وحـــدى ؟ . .
لكم كـنت أرجــو غــرفــة فــأصـبـتُــهـا
بنـاء قـــديم العـــهـــد أضـيـق من جَــدّى
فـــأهـدأ أنـفــــاسـى يـكاد يـهـــدُّهـا
وأيـســـــر لَمْسٍ فى بـنايتـــهـــا يُـردى

* * *

أرى الـنمل يخـــشى الناس إلاّ بأرضـــهـــا
فـــأرجلـه أمـــضى من الـصـــارم الهـندى
تـســـاكـننى فـــيـهـــا الأفـــاعى جـرئـــة
وفى جـــوها الأمـــراض تـفـــتك أو تُـعـــدى
ترانـى بهـــا كلّ الأثـاث ، فـــمـــعـطفى
فـــراش لنومى أو وقـــــاء مـن البــــرد
وأمـــا وســاداتى بهـــا فـــجـــرائد

تجـــــدد إذ تبـلى عـلـى حــــجـــــر صلـد

* * *

تعـلمت فـــيـــهـا صـــبـــر أيوب فى الضَّـناَ

وذقت هزال الجـــوع أكـــثـــر من « غـــاندى »

جـــــوارك يـاربى لمثـلىَ . . . رحــــمــــــة

فـــخُــــذْنى إلـى النيـــران لا جنة الخـلد ! . .

كيف أعيش ؟! . .

نهــــارى إمـــا نومـــة بين مـــســـجـــد
غـــــرارا ، وإمـــــا بـالـطـريـق تسكّـعُ
وأطوى عـــصىّ الليل فى القـــرّ ســـاعـيـــاً
ومن أيـن للأفـــاق فى الكـون مـــهـــجع
إذا أذنوا لـلفـــجـــر . . . طرت مـــســـرة
إلي مـــســـجـــد فـــيـــه أصلى وأضـــجع
أصـلـى بوجــــــــدان المرائى وقـلـبـــــــه
وبئـــست صـــلاة يحـــتـــويهـــا تصنع

* * *

أمـــرّ على المقـــهى فـــأســـمع شـامـــتـــا
يمـزق فى عـــــرضى وآخـــــر يشـــــفـع
وقـد ســـاء ظنى بالـعـــبـــاد جـــمـــيـعـــهم
فـــأجـــمـــعت أمـــرى فى العـــداء وأجـــمـــعـــوا

الحبل المنقطع . . .

ريعَ الحــــبيسُ ببلواه فـــمـــا جـــزعَـــا
والجـــرح كل مـــدى إبلالـه وســـعـــا
حَـــملْتُــــهـــا طعنات لَوْ بـواحـــدة
منهـــا منِّى «هُمـــلايا» مـــال وانصـــدعـــا
ونافـــسين علىَّ الشـــعـــر فـى حـــســـد
ومـــا سوى الشـــعـــر فى حَـرْبى لهم شـــفـعـــا
وقـــــاطـعين طريـق العـــــيش أسلكـه
وقَطـرُ غَـــيْـــثى بقـــومـى بينـهم همـــعـــا
ومــــــا قـنـعت بـدونٍ إنـه شـــــرف
بالمـوت دون حـــيـــاتى بـالرضـــا قـنـعـــا

* * *

ياذابحى الشـــاة فـى أفـــراح عـــيـــدكمُ
هَلاَّ بعـــثـــتم لنـا من لحـــمـــهـا قـطعَـا ؟ . .
يـالابسين جـــــديدا فـى ثـيـــــابكـم
هلا يـعـــثـــتم لنـا المتـــروكَ والخلعـــا ؟ . .
رُدُّوا عـلينـــا شـــبــــابـاكـم دَجَـى ودجـى
وليل شـــيـــبكـمـو باليـــسـر قـد سطعـــا

رَمَيْتُمونى بأخلاق مجرّحة

حتىّ رأيتُ مقامى بينكمْ وضعاً

فسرْتُ سير ذبيح مُهدر دمهُ

صِحا فهمّ فجاء الموت فانصرعا

إذا وصلتُ بكم حَبْلى مسايرةً

أتت عليه مُدى الأضغان فانقطعا

حرمان . . .

رَفَعنَا حجَاب الشمس ، أين سَنَاَها ؟ . .
ودنّا رياض الخلد ، أين شذاها ؟
تَجافَتْ بنا الدنيا ونحن سَراتُهَا
وضاقت علينا أرضها وسماها
ومن يُرْمَ بالدنيا الفقيرة فليكن
على الرغم منه أُمها وأبَاها

* * *

تحطّمت بالحرمان لولا علالةٌ
تمرغ فقرى في وضيع ثراها
أنافق فيها مُكْرهًا لخصاصتى
وأبذل نفسى أن أنال حياها
وأستشفع القَدْمَ الضعيف بمحنة
بها فاض همّى يائساً وتناهىَ

فى السجن ! . . .

له بفؤادى لذّة ووجيبُ
وفيه لقلبى بلسم وطبيب
ملأت به الدنيا هوىً وصبابةً
وهلهلت فيه الحب وهو جنيب
وما صدّ عنى أو لَوىَ دون حاجتى
ولكن أخلاق الجميل غريب
تهدهده كالطفل إن أنّ أوشكا
ويغُرى بك الأشجان وهوطروب

* * *

لقد شبعت فيّ الأعادى شماتةً
وبتّ ومالى فى الوجود حبيب
وأصبحت مسجوناً بدار بعيدة
تجافى بها خلٌ وبان قريب
ءأصبح مسجونا وماكنت مذنبا
ولا حزبتنى فى الحياة ذنوب ؟ . .

* * *

وإخـوان سـجن قُـبّـحت من وجـوههم

همــــومٌ تـوالى دائمـــا وخـطـوب

فـمنظرهم أضـحـوكـة كلبـاسـهم

ومـخـبـرهم فى الحـادثات رهيب

لقـد كنت فـيهم يـوسف السـجن صـالحـا

أفـسـر أحـلامـاً لـهم وأصـيب

وكم لـيلة في السـجن بين صـبـاحـهـا

وبين دجـاهـا مـشـرق وغـروب

فـيـحـيـا رجـاء فى الحـيـاة مـوسـوس

ويمحى بهـا فـجـرٌ أغـرّ قـريب

وكل ضـيـاء فى الغـيـابة خـادع

فـفـجـر الأمـانى للسـجين كـذوب

لـنـا هجــرة في الـهم لـم نَـدْرِ عندهـا

مـتى تنتـهى من هـولهـا ونـؤوب

السجن أحب إليّ . . .

لُذْتُ بالسجن بقلب بَهِجِ
مرحبا بالضيق دون الفرجِ
ههنا داري وأهلي ، وهُما
كل ما أرجو ليوم الحرج
ولج السجن يرىٌ طاهر
وأخو زلاته لم يلج
ناء بالأبرار عن جناتهم
إن رب الفسق مبرور نج
هكذا الدنيا رأينا ليلها
في صباح واضح منبلج

* * *

أيّها الورد انتحر لا تتئدْ
قد تجافى دهرنا بالأرج
أيها الطير إلي الموت فقد
صمّت الآذان عن كل شجِ

* * *

أنا من قـــالوا خـليعٌ مـــرح
وطـوال العـــمـــر لـم أبتـــهـج
غـصّ بـالـوثبـــــة منى أعـــــرجٌ
فـــرمـــانى حـــقـــده بـالعـــرج
مـــا أصـاب الخـيـر في مـصـر سـوى
ســــاقـطٍ فـى كـل دَرْكٍ ســـــمـج
والـــذى خـَلـــد مـــن آثـارهـــا
حـــجـــر يـفـــدى بـحـــرّ المهج
ربّ لا نـشـكـو ، فـكـم من مـــــحـنٍ
لـم نجـــد فـى كـــربـهـــا من فـــرجِ
قـــد فـضـضنـا ســتــرها فـانكشــفت
من يـرح فـى هـجـــــرة الـهـمّ يـج

سرقة لحافى ! . . .

(سرق لحاف الشاعر البائس الوحيد الذى كان يتدثر به فى ليالى الشتاء الباردة فرثاه بهذه القصيدة) .

لحــافى ، وهل غـيـر الـهـبَـاء لحـافى ؟ . .
بقــــيَّـــــــةُ نَـسْـجٍ دَارسٍ ونـداف
أطافَ به لصٌّ فـقـيـر كـعـيـشـتى
فــيــا بُؤسَــهـــا من هجـــرة ومطاف
ولم أخش من ذا الرزء إلاَّ فـضـيـحـتى
بـأنى قـــد ملّكتُ شــرّ لحــاف
فليـــتك يالصى الجــرىء وجــدتنى
غنّيــا وســعـدى فى الحـيــاة مــوافى
ويا لـيـتـنى مــا كنتُ صـيـــدك إنمَّا
ســـرقتَ لحـــافى جــاهداً وشـغــافى
ويا لـيـتـنى دون اللـحــاف ضـــحـيــة
فــإنى صـديقٌ فى الحـيــاة مُـوافى ! . . .

* * *

فَكم ليلة تحت اللحـــاف قـضـيـتُـهـــا
أُســـامـــر أحــــلامى وطيفَ سُــلاقى

وكـم ذا وقـــانى الـبـــرد فـي جُـنح لـيلـة
بـهـــا الموت مـن كـل المواجـع شـــاف
لقـــد ضـــاع منى ذا الـغـطـاء ، فــهـل ترى
أُدثَّرُ شـعـــرا ضَـــافـيــاً وقـــوافى ؟! . .

شياطين الملائكة ! . . .

سلى فــــــؤادك عنا لا تلومــــــينا
ولا يجـــا فـــيك منا قـــول واشـــينا
عــدا الشــقــاء على الدنيـــا فــغــيّرها
ولم يـغّــيــر بهـــا صــفــو المحــبــينا
وخلّــف الــروض إلا بـانـهُ حـطبـــــــاً
وكـــان مــخــضــوضــراً يهــفــو رياحــينا

* * *

يا ظبــيــة القــصــر مــا أشــجــاك فــاتنة
تـركـــــتـنا بالـهـــــوى نبكى وتبكـينا
أعنو لمغـنـاك إذ عــــــزّ الخـلـيط به
وأجـــتنى حــبــه مــهــمـــا نأى دينا
لـكنّ لـى ذمـــة من بات يـخـــفـــرهـا
ســقــيـتــه قـــاسيــا مُـهْــلاً وغـسلينا

* * *

رأيت منّا عـلى البـلوى مـــــلائكـة
فـــمـــا يضـــيــرك أن كـنا شـيـــاطينا

وقـــد أريناك من وحى النهى عـــجـــبـــا
فـــمـــالنا فى الهـــوى صـــرنا مـــجـــانينا ؟ . .

* * *

لـم نرتقب فـــرجـــا فى يوم كـــربتنا
إلا وكـــان لنا ضـــيـــقـــا يواتينا
ولا اســـتـــغـــثنا طبـــيـــبـــا فى مـــواجـــعنا
إلا المنـــايا نـــرَجّـــى أن تـــواســـــــــينا
لـم يخلـق الحـــزن إلا في جـــــوانحنا
ولا المدامع إلا فـى مـــــآقـــــينا ! . .

فى قريتى . . .

« زار شاعر البؤس عبد الحميد الديب قريته كمشيش سنة ١٩٤٠ بعد عشرين عاما منذ تركها واستقر بالقاهرة فأوحت إليه الزيارة بهذه الخواطر الحزينة الباكية . . . » :

تغـيـرّت يـادنيـا ،فـأين مـضـى أهلى ؟ . .
وأيــن ديــار لــم تــذُقْ نُــوَبَ المحْـل ؟ . .
وأين جــوامـيس سُــمــانٌ حلوبةٌ ؟ . .
وأين جِــمــالٌ لا تُراعُ من الحــمــل ؟ . .
وأين حَــمـامـاتٌ هَتـفْنَ عـشـيّـةً
تنوح علـى إلفٍ وتبكى عـلى شـمْل ؟ . .

* * *

سـريتُ فـمـضّيت السُّـرى فى مـسـرّة
وبَـرَّحَ بى شـــــوقٌ إلـى رؤيـة الـكُـلِ
فـلم أرمـنهم غــيــر أخت حــزينة
براهـا الضّنى مـن غـمـرة البـؤس والثُّكْلِ
عـــمــيتُ مـن البلـوى فـلم أدرِ ذاهـلاً
أخـى مـن ثوى بـين المقـــابر أو نجلـى ؟ . .
أقـــامت بنا الأيام حـــربـا فلم تَدَع

بقــــومى من شـــــيخ يدبُّ ولا طفل
إزاء قــضـــاء الله أصــبــحت حـــائرا
أقــصـَّـرُ فى مــيــدان عـــيـشى أم أُبـلى ؟ . .

وداعاً شبابى ! . . .

وداعــــاً شَـبــابِى فى ربيع شـبــابى
وأهْلا حــســابى قــبل يوم حــسـابى ! . .
ومــا يبتــغى من عــاش غــيـر مُـوَفَّق
ثلاثين عــامــاً فى أسى وعــذاب
بنىَ فــوق دار الشــمس دَارةَ مــجــده
فــســاكنه فــيــهــا نَذيرُ خــراب
طلعتُ على الدنيــا فــلا النُّورُ فى الدجى
ولا الروضــة الفَــيــحْـاءُ وسط يبــاب
ولَكن حظى بـدَّل النـور ظُـلمـــــةً
وبدّل مــا أشـدُو نعــيب غُـراب
ويؤتُ مــن الأيـام وهــى هــوامــعٌ
بحظ العطاشى من جـهـام سـحـاب

* * *

أمــانىّ تغــريهـا الخُطوب رأيتُــهــا
كــأشْـلاء قَــتْلى فى رؤوس حِــراب
ولــو أنَّ وهّــاب الحـظـوظ أراد لــى
سـلامــة إحداها لخــفَّفَ مــا بى

ولكنّهــا مــاتتْ بليلة عُــرســهــا
ومن دمــهــا الغـالى تخِـذْتُ خِـضَـابى ! ..

حرب الأصدقاء ! . . .

(كان الشاعر يضيق أحيانا بدعابات أصدقائه فيثور عليهم ويطلق سلاح شعره عليهم يمزقهم شر ممزق وهذه القصيدة ثورة صاخبة على أصدقائه . . الذين كانوا يتخذون من بلواه فكاهة وسمرا فى مجالسهم وقد نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٤٠ يتيه بها عليهم بفنه وعبقريته :

عـــــزّتـكـمُ الـدنيـــــا وهُـنّـا
فـــرقـــصـــتـمُ طيـــرا وغـــصنا
مُـلّكـتــمــوهـا بـالـغـنـى
ومـلكـتـــهـــا شـــعـــراً وفـنّا
أنتم مـــشــيـب فى الـصـــبـــا
وأنـا الشــبـــاب كـــبـــرت سنّا

* * *

عـــشـــرون عـــامـــا والـزمـــان
يـؤودنـى ضـنّـا وغـــــبـــنـا
وتجـــــــــدون هـنـاءكـم
وأجـــدد الأحـــزان حـــزنـا
وأنـا لـكـم فـلـك الـنجــــــاة
وكـم بـكـم أغـــرقـت ســـفـنـا
يـا لـلـغـــريـق إذا اســـتـــغـــاث

بقـــــــادر فـى الـيـمّ ضـنـا
لا تمـلـكـون ســــــوى المـلام
ومـــــــا ضـلـلـنـا أو أثـمـنـا
★★★
أبـنـى لـكـم صـــــــرح الـوداد
وكـم حـطـمـــــــتمْ منـه ركـنـا
كـم من صـــــديق شـــــامنى
أبكـى من الـبـلـوى فــــــغنى
كـم شـــامت قـــد ســـرّه
قـلقى بعـــيــشى فـــاطمـــأنا
هـى هـدنـةٌ فـى مــــــحنتى
إن عُـــدتمُ للـحـــرب عُـــدْنـا ! . . .

القدر المذل . . .

أسْلَمتُ للقدر المذلِّ سلاحي
وجَرتْ علَى مَشيئةُ السَّفّاح
مُستضعَفٌ يُحنى علَيَّ كأننَّي
يُتمٌ يُدلَّلُ في حُجُور سِماحِ
يامِحْنةً أكلَ الشَّقاءُ شَبيبتي
فيها ، ومزّقت الخُطوب جناحي
ولَبستُ بَاليها بعُرسي مكْرهاً
وشربت آسنَها مُعتّقَ راحَ
في أسرة ترجو المعيشة قُنّعاً
بالخبز مُؤتدماً بماء قراحِ
ولها سوى حرب الشعوب حروبُها
والدهر عزلاء بغير سلاح

* * *

جُرحان في كبدي لفرط صَبابتي
ولِشقوتي والناس جدّ شحاح

ولو أنَّهم جَرحَى خُطُوب زمانهم
مَنْ ذَا يقيسُ جراحهم بجراحى ؟ . .
لا تعتبوا بخلى بدمعى صابراً
فَيضُ الدُّموع بمُقلة التِّمساح
أَنبَتُّ فى الأخلاق صدقَ «محمد»
وَجَنيتُ كذب (مسيلم وسجاح) ! . .

* * *

أشكو إلى الأخلاق غرّاً والغاً
فى الإفك رَغمَ هدَاية النُّصاح
كَمْ ذا أقلْتُ عِثَارهُ ورحمته
فارتد يهجو نعمتى ويُلاحى
نَبغَ النُّبوغَ اللّغو فى تهريجه
ومن الطَّغَام مُهرِّجُ الأفراح
تخذوه تسلية الندىِّ وحسبُه
هُزء الضَّحُوكِ ونكتةُ الفضّاح
مِنْ معْشرٍ أكَلوا « الجراية » قُنَّعاً
بالخبز مُؤتدماً بماء قراح
ظفروا على الأحداث جُنْد مُوَفَّقٍ

للمال أو خدماً لدى مسْماح
إن كان هذا الفحش خِفّةَ روحه
فمن الحماقة خِفّةَ الأرواح ! . .

* * *

ما كان ضَرّكَ لو رعيت كرامتى . .
ورحمْت تبريحى ، وطُول نُواحى ؟ . .
وأنا الذى لبس النّجُومَ قلائداً
وزكا غُدُوِّى فى العُلا ورَوَاحى
وطَلعتُ فى محْل الخلائق واكفاً
ومَحا ظَلاَمَ المُعْتَفين صباحى
أيُباحُ عرْضى فى سفاهك بَيْنمَا
عرْضُ الأذلِّ الغِرِّ غير مُباح ؟ . .
وأشدُّ ما ألقاهُ يوم رزيئتى
أنَ أجعل الهجو الوجيع سلاحى
مِن قَبْل يوم البعْث لُؤْمُكَ باعثُ
فى كُلِّ يوم حَامِل المصْبَاح

* * *

نَحُن الملائك والملوكُ ، وَحسْبُنا

بالشعر تزكيةٌ ونيْل وشاح
يا مِحنَةَ الأدب الرفيعِ بمعشر
جعلوا السفاهة آية الإفصاح
لا يصْدعُ الزَّبدُ الجُفاءُ سفينةً
والبحرُ طوْع رغائب الملاَّح ! . . .

بين السكر والصحو . . .

يقولون سكير فهل شربوا كأسي ؟ . .
وهل شربوا البلوى كما شربت نفسي ؟
سمت بي غداة العمر نفس رضية
فأوسعها دهري من الهم والبؤس
مضى الشعب عنّي غافلا ، فجزيته
على حسّه الغافي بمختبل الحسّ
وإن أصَحُ ألفيت الحياة مجانةً
بها مأتمي الباكي يقوم على عرسي
فسكريَ صحو في بلادٍ أرى بها
حياتي لم تنجح على الطهّر والرّجسِ

* * *

إذا قلت قدّيسٌ ، يقولون سادرٌ
وإن قلت حيٌّ ، يحملوني إلي رمسي
معاذ قصيدي أن أعيش مشرّداً
وأحرم جَنْى الرزق من شرف الغرس
تحدّيتُ أيامي وقومي بوحشتي

وكــم وردوا مــنّــى مــنــاهــل لــلأنــس
لقــد جــهلــوا يومى ، ولن يـكرمــوا غــدى
وياحـــرّ قلبى من شـــقــائىَ فى أمــسى ! . .

صرخة شاعر . . .

مَـا بـالُهمْ سكتُـوا كـأنْ لم يعـرفـوا . . .
هذا الضـحى والشـمس فَلْيـتشـوفُّـوا
ضَنُّـوا علـىّ بكثْـرهـمِ وبقلّهـم . .
وسـواى لو طلب المعـونة أسـرفـوا
لا تُبْـهِـمُـوا ياجِـيـرتى أحكامكمْ
فى مـحنتى ، فلتـعـدلوا أو تُجْـحـفُـوا
لا تُسـمـعـونى نوْحكُمْ لشـقـاوتى
وتَرنَّمُـوا بين الحـوادث واعـزفـوا

* * *

مـا بال من عـرفـوا أليمَ خـصَـاصـتى
ورقـيق حـالـى ليس فـيهمْ مُـسْـعفُ ؟ . .
من كـان يقـدر أن يُفَـرِّجَ كـربـتى
ويُنيـب مـدمـعـه فظلمُ منصف
يتسـمـتـعـون بمدمـعى وشكايتى
والبـدر سلوى للورى إذ يُخْـسف
ولربمـا غـدت المـواجع سـلوةً
للمـتـرفين ومـتـعـة لا توصف

ولـقــــــد تَـسَّلى الـعـين وهـى قــــــريـرةٌ
بمن اغــتــدى فـى قـــيــد ســـجن يـرسف

* * *

أأرى ذئابـاً ؟ . . أم صـــحـــابـاً ؟ . . إنـهم
وجـــمـــيـعـــهـمْ في الخطب لـم يتـعـطـفـوا
«بارَ الـلواء» جـــمـــعت بـعض كـــتــــائب
والحــقــد فـــيـهـم مـــســتــبـــدٌّ مُـشْـلِفُ
وقـــفـــوا كـــمـــا وقف الزمـــان بمحنـتى
لدمـى الـبـــري جـــمـــيــعـــهمْ يســتـنزفُ
أأعــيش بينهم شــقــيــاً مــعـــدمــاً
وهـمُ غـنـىٌّ نـاعـمٌ ومـــــــوظّـفُ ؟ . .

من أنا ؟ ! . . .

صحوتُ لم أجد الدنيا فأين غدت ؟ . .
وليس يبدو بها أهل ولا دارُ
الذئب تأكله شاةٌ لجوعتها
والماء ترعاه فى أحطابها النار
وقد غدا المال نهب الباخلين به
والمجد يحضنه فى شأوه العار
فهل تغيرت يادنياى أم عميتْ
عينى فليس بها للخلق إبصار ؟ . .

* * *

مرّ الذى كان حلوا في فمى ودجَتْ
فى الليل والصبح بين الكون أنوار
فلا جمال ولا نور ولا مُتعُ
ولا حياة بها عيش وأعمار
كأننّا فى وعيد الله تغمرنا
حال من الخوف نخشى دونه النار
فما تغيّر شئ فى الوجود عدا
نفس يحطمها بؤس وأكدار ! . .

* * *

النـاس فـى كـل يـوم بين عــــــيـــــدهـمُ
ودمع عـــيـنى بيـــوم الـعـــيــد مــدرار
وكـل ذنبـى أنى كـــالـذى زعــــمــــوا
ضـــحـيـة غــالهــا فنٌّ وأشــعــار ! . .

صبر البائسين . . .

إلى جِـــوار النَّدي لـلبـــائس الحـــافى
ثُمـــالة الـكأس لـلمــــحــروم والـعـــافى
قـــالوا الحـــفـــاء ، فـــقلنا لا يضــيــركم
مَـنْ يأمـن الموت جـــوعـــا أنه حـــافـى
الشــعب جــوعـــان لم يشك الحــفـــا أبدا
ولـمْ يمـدَّ لـكـم رجْـــــلاً لإنْـصـــــاف
فـقـــد يبــيع الحـذاء الفــخم صـاحـبـه
لـينقـــــذ الـنفس من جـــوعٍ وإتـلاف

* * *

وفى البـــلاد عـلى خـطب الطَّوى صُـــبـــر
وليس كـــالـصّــبــر فى خطب الـطوى شـــافي
ولابـسـين عـلي فـــــقـــــرٍ جُـلـودهـم
لا يلبــســـون ســوى مـــا حـــيَّــر الـرأفى
هـذا هـو البـــؤس ، لا حـــاف ومُـتـنْـــعلٌ
والجـــرح لكنه عن طـبِّكـم خـــافى ! . . .

* يهاجم مشروع الحفاء فى عهد الملك فاروق .

حنين . . .

الوالدان هلكت بعدهما
من لى على رد الأسى بهما
أستوحش الدنيا كراهية
مذ ذقت كأسي من فراقهما
من موقظُ أمى لأ سمعها
قلباً يذوب لموتها ألما ؟ . .
وأبثّها لهَفى لرؤيتها
وتحّرقى أن أبلغ العدما
فأعيد أفراحى بحضرتها
وتدلّلى فى البيت محترما

* * *

أمّى . . إذا أصبحتُ نافلةً
لم تلفنى إلا فتى علما
وإذا لحانى الناس كلهمُ
أضفتْ علىّ حنانها كرما
وإذا افتقرتُ وجدت رحمتها

قـــد أمطرتنى اليـــســـر والنـعـــمـــا
وأبى ومن يحـــيـــيـــه لى لأرى
وجـهـا كنور الشـمس مـبـتـسـمـا ؟ . .
وأرى برؤية وجـــهـــه لهـــفى
وأطالع الدنيـــا به قُـــدُمـــا
مـــا شُـمـتـه يومـــا تجـهّم لى
مـهـمـا تجلّى الخطب أو عظمـا
آه ، وهل ألقـــاهمـــا يقظا ؟ . .
أو نائمـــا ألقـــاهمـــا حلمـــا ؟ . .
الوالدان هلكت بعـــدهمـــا
من لى على ردّ الأسى بهـــمـــا ؟ . .

أين الدنيا ؟ . . .

صحـــوت لم أجـد الدنـيـا فـأيـن غَـدتْ ؟ . .
هل اســتـــحــالت إلى حَــدْسٍ وأوهام ؟
أم اسـتــحــالت إلـى نوْمــانَ عــيـشــتــه
من فـــرط أوهامــهـــا أضـغـــاث أحـــلام ؟

* * *

لم ألفِ ،غـيـر شخـوصٍ كـالـدمى وقـفـوا
حـــيـــاتهمْ وقف عـــبّـــاد لأصنام
وفـــارغين من الأحـــلام قـــد علفـــوا
بـطونهـمْ بـالمطـاهى عـلف أنعـــــام
قـــومُ عـــراض القـــفـــا دان الغنى لـهم
وإن أصـــــابوه عـن ذلٍ وإرغـــــام
جننت من مـوكـب الأوشـابِ تحـسـبـهـم
مظفـرّين مـشـواْ في خـفق أعـلام
وهم جـــبـــان ومـــشّـــاء وداعـــيـــة
للعـــيش رجـــســا غـــريقـــا بين آثام
بينا ترى مـــلأ الأكـــفـــاء قـــد دحـــروا

والبــؤس يبــعــد من شــهــر إلى عــام
كــأنما الفــقــر للأكــفــاء توأمــهم
فــالبـؤس كــالشــعــر من وحى وإلهــام

يارب .. أين رزق السماء ؟ ...

يارحمتا لى فى ليالى الشتاءْ
بين العراء القر فى وحدتى
جوعان لا أحيا بغير الرجاء
فى ملجأ دفءٍ وفى أكلةٍ

* * *

والناس من حولى قيامٌ قعودْ
يجنون ينعا من ثمار الحياه
ولو رأونى أومأوا بالسجودْ
ياذلة الدنيا لهذا الإلهْ

* * *

تزوَّر عنى الخرّدُ الغانياتْ
لو جهىَ الحاكى سواد الغرابْ
كأنما شخصى من السيئاتْ
تخشى به الحسناء سوء العذابْ

* * *

يمر عامى فى طِلاب الكفافْ
وفى جديد العيد لبس خَلَقْ

أقسمت أن «الديب» حلمٌ وطافْ
وأنه بين الورى ما خُلق ! . . .

* * *

يارب أين ؟ أين رزق السماءْ؟ . .
وأين أنت ؟ يا إله الجميع ؟ . .
أليس فى إسعاد عيشى رجاء ؟ . .
أليس لى فى عطف ربى شفيعْ ؟ . .

* * *

خذنى إذا ما المال أمسى عسيرا
فالموت خير من حياة الفقير
الشاعر الموهوب يحيا فقيرا
وماله فى شعبه من نصير

أجرة السكن . .

(كان شاعر البؤس يقطن بغرفة بحى الحسين وبالرغم من تواضع أجرها إلا أنه كان يعجز عن سداده) .

ثمانون قرشا أهلكتنى ، كأنها
ثمانون ذنباً فى سجلِّ عذابى
طويتُ لها الدنيا سؤالا وكُدية
فما ظفرتْ نفسى بردّ جواب

* * *

لُعنتْ كراء البيت ، كم ذا أهنتنى
وأذللت كِبْرى بين كل رحاب
لأجلك إمّا أن أبيع كرامتى
وإما أفدّيها ببيع ثيابى
ففى كل شهر لى عُواءٌ بموقف
يباعد عنى أسرتى وصحابى
وطول ليالى الشهر يهتاج مضجعى
مخافة ربّ البيت يطرق بابى
يطالبنى فى غلظة ، فأُجيبُه

إجـــابـة من يرجـــو يداً ويحـــابى
ألا سكنٌ مـِلكى ولو بجـــــهنم
وأُكْـــفَى من الأيام شرًّ حـــسـابى ! . .

أجرة المنزل بين شاعرين . . .

أرسل الشاعر (عبد الحميد الديب) إلى صديقه الشاعر محمد الأسمر رسولا بخطاب فيه أن مالك البيت الذى يسكنه أوقع الحجز على أثاثه ومع الخطاب الأبيات التالية :

ياصاحبى حجز الغريم ولم أجد
فى الناس من بيع الأثاث مجيرى
وغداً سيفضحنى ويفضح عيشتى
نذل يبيع حشيّتى وحصيرى
والناس قد جمعوا إلينا شامتا
أو باخلاً يسخو بكل مضير
ليرْوا مبيتى بالعراء وزوجتى
حيرى لبؤس مصيرها ومصيرى

فبعث إليه الشاعر محمد الأسمر مع رسوله بالأبيات الشعرية التالية :

قد بعثنا إليك شيئا يسيرا
فتقبّله شاكرا أو عذيرا
لو حبانا الزمان أكثر منه
لحبوناك منه شيئا كثيرا
كم بنيت البيوت فانزل بما شئت

وطُفْ بالجــــمــــيع دوراً فـــدورا

كـــيف تـشكـو ياديب مـــارحـت تشكوهُ

وأنـت الذى يشـــيـــد الـقـــصـــورا

ليت شـــعـــرى مـــتى أقلـب عـــينىَّ

فـــلا أبصـــر الأديب فـــقـــيـــرا

أنـــت " يــاديـــب " بـــا أديـــب غـــنـــىٌّ

بالـقـــوافى وإن رهنت الحـــصـــيـــرا

مناجاة حبيب . . .

(يناجى الشاعر زوجته " إحسان " وهي مريضة فى صبيحة يوم العيد)

يـا مُـطـلـقـى مـن إســـــــــارى
يامطفـــــئـــــا حَـــــرَّ نارى
هـزمـت دهـرى بـثــــــــــارى
وصـــــــنـــــت دهـــــرى ودارى
فـــــأنـت كـل حـــــيــــــاتـى
سـلـمت لـى يـا حـــبـــيـــبـــى
ســـلـــمـــت مـــن كـــل داء

* * *

فـــــوق الـــســـريـر ضـنـاك
يــاورد أيــن شـــــــــــــذاك ؟ . .
يـــابـــدر أيـــن ســـنـــاك ؟ . .
روحــى وأهــلــى فـــــــــــداك
فـــــأنـت كـل حـــــيــــــاتـى
وأنـت فـــــجـــــر هـنـائـى
سـلـمت لـى يـا حـــبـــيـــبـــى

ســـــلـــمــــت مـــن كـــل داء

* * *

مـــــــا قلـــت تشـكـو الـضنـى

آهٍ ، وقـــــلـــــــت أنـــــا

آهٍ لـــــطـــيـــب الجــــنـــى

آهٍ ، لـفــــــيـض المـنـى

فــــأنـت كـل حـــــيـــاتـى

وأنـت فـــــجــــر هـنـائـى

* * *

لـيـلٌ كـــيـــوم الـوعـــيــدْ

طـــولا وعـــنـــه يـــزيـــدْ

الــنـوم عـنـه شــــــريـد

والـصـــبـح مـيْـتٌ شـــهـــيـد

فــــأنـت كـل حـــــيـــاتي

وأنـت فـــــجــــر هـنـائـى

* * *

أضـــفـى عـلـيك الشـــحـوب

لـونـا كـلـون الـغـــــروب

مـــــــا كـــــــان قـلـبـى يـذوب
فـــــأنـت كـل حـــــيـــــاتـى
وأنـت فـــــجــــــر هـنـائـى

* * *

ضـــــــحـكـت تـدفـع عـنـى
مـــــــا نـال مـنـك ومـنـى
ضـنـاك قـــــــد هـدّ ركـنـى
وكـــيـف يـضـــحـك حـــزنـى ؟ . .
فـــــأنـت كـل حـــــيـــــاتـى
وأنـت فـــــجــــــر هـنـائـى

* * *

ذبـلـت مـــــا عـــدت تـقـــــوى
وبـتّ طـيـــــفـــــا ونجـــــوى
فـــبـــــات جــــســــمـىَ شـلـوا
وبـتّ لـلـهـم نِـضْــــــــــوا
فـــــأنـت كـل حـــــيـــــاتـى
وأنـت فـــــجــــــر هـنـائـى

* * *

كـل الأنـام صـــــــحــــا
فـى مـــهــرجـــان الضــــحـى
والأنـــس عـنـى انـتـــــحـى
والـهـم بـى بـرّحــــــــا
فــــأنـت كـل حـــــيــــاتـى
وأنـت فـــــجـــــر هـنـائـى

***

تـرنـو لـلـبـس الجـــــديـد
رنـوا يُـسـلـين الحـــــديـدْ
شـــفــاك يـوم ســعـــيــد
فـــأنـت لـلـعــيـد عــيــد
فـــأنـت كـل حـــــيـــاتـى
وأنـت فــــجـــــر هـنـائـي
سـلـمـت لـى يـا حـــبـــيـبـى
ســلـــمـــت مـــن كــل داء

محنة بؤسى !...

أفنى صبوحى فى المنى وغبوقى
انى امرؤ كسدت بقومى سَوقى
زعم العواذل أن سعيى مُخفقٌ
والنحس توأم عيشتى ورفيقى
لولا مناوأة الزمان لهمتى
أزرى بنور الشمس نور شروقى
أقسى علىّ من الخطوب تبرمٌ
بى من قريب عاطف وصديق
ضاقت وجوه العيش دونى بعدما
هضمت لئام الناس كل حقوقى
وعققت ذلى فاستراب بينما
نسبوا إلى لؤم الطباع عقوقى
وإذا انبرى الحنّانُ يكشف كربتى
جرحوه واحتسبوه شرّ شفيق

* * *

يامحنةً أكل الشقاء شبيبتى

فـــيـهـــا ، وهجّنت الخطوب عَـريقى

ولبـــسـتُ بالـيــهـــا بعُـــرْسى مكرها

وشـــربت آسنَهـــا عـــتـــيقَ رحَـيق

لو لـم يكن نُبْلُ الحـــيـــاء طبـــيــعـــتى

أقـــسـمت مـــا عـــرف الشـــقـاءُ طريقى

فـــبكـل مـــضـــمـــار سَـــبــقْتُ ، وإنـنى

لأعـــيـش عـــيـشـــة خـــاسـر مـــســبـوق

مـــحنٌ لهـــا عـــزم الجـرئ وصـــبـــره

والصـــبـــر أجـــمـل مـــا يفـــرّج ضـيـــقى

ورقائى الذبيحة ! . . .

ذبحـتك ورقـائي وأنت هتـوفُ
وعـذل الشـجيّ المستـهان يحيفُ
رأيتك دون العـود والماء أطبـقتْ
عليك منايا كـثـرة وحتـوفُ
وقـد جنّ فـقرى والهـوى فيك قاتلى
وأشـفـقت أن تقـضى عليك صروف
وفيك لزوجٍ موسـرٍ كلُّ متـعـة
ومازلت بدرا لم ينله خسـوفُ

* * *

خلقت لقـصـرٍ بالثـراء مضمّخ
وبيتى قفـر ليس فيه رغيف
سأحمله جرحا لبعدك قاتلا
وأنجيك من عطف علىّ يخيف
وأشربها كأس الفدائىّ فى الردى
إذا ما أباها صاحب وأليف

* يناجى زوجته ناعياً لها حظه ، ومشفقاً عليها من بؤسه

فـقــالت بـحــســبى منك قلبٌ ونظرةٌ
وأنـك فــــيـــاض الـوداد عـطـوف
ومـــــالى بـالـزوج الغـنىّ ومـــالـه
قــريـن إذا لجّ الخــصـــام شــريـف
يمنّ فــــــلا يبـكى مـن الحبّ ذرةً
ويـدنـو ومـــــالى مـن جنـاه قـطـوف

طل الندى . . .

يا رحيق الورد يا قطر الندى
كم سقى عطفك من قلبى الصدى

* * *

أنت يا قطر الندى درٌّ مذابْ
أنت أحلى من رحيقٍ أورضابْ
ياصفاء الماس يالطفَّ الحباب
يا دموع البشر من خود كعاب
يا رحيق الورد ياقطر الندى
كم سقى عطفك من قلبى الصدى

* * *

غنّت الورقاء والشمس نؤومْ
في صباح قد هوت فيه النجوم
فإذا قلبى بحسنائى يهيمْ
بين عطر الورد أو قطر الندى
يا رحيق الورد يا قطر الندى
كم سقى عطفك من قلبى الصدى

* * *

أنت أغريت حبيبي بالبكور

ليحيّيك بأهداب الزهور

ويندّى القلب من شدو الطيور

ويلاقيني على شطّ الغدير

بين عطر الورد أو قطر الندى

* * *

لست بالطارق حانا للصبوحْ

أنا من لقياه نشوان مروحْ

كل خمري منه ألطاف وروحْ

وانجذابٌ وهيامٌ وطموحْ

وجنون بين ورد وندى

يارحيق الورد ياقطر الندي

كم سقى عطفك من قلبي الصدى

* * *

فتح الأكمام إشراق الحبيب

حسنه يضفي على الوردة طيبْ

ويساقي الغصن أعطاف الندى

يا رحيق الورد يا قطر الندى

كم ســــقى عطفك من قلبى الصــــدى

* * *

حــــالت الحــرب فــمــــا إن نلتـــقى

غـــيـــر أطيــــافٍ بحلم مـــغـلـق

هـو فى المغــرب في عَـــيشٍ شــقى

وأنـا أهـفــــو لـه فى المشـــــرق

وكـــــلانا ذاكــــر عـــهــــد النـدي

* * *

يـالـه عـــهـــــدا على طول الزمـنْ

قـــد طـويناه كــــأحـــــلام الوسـنْ

بين ليـل ســــرْنا فــــيـــــه كَـــمَنْ

وصـــبــاحٍ كل مـــا فــيــه حـسَنْ

رقت النـــســمــــة فـــيـــه والنـدى

يـارحــــــيـق الـورد يـا قـطـر الـنـدى

كم ســــقى عطفك من قـلبى الصــــدى

---

* نظمها الشاعر عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية .

العيد الحزين ...

عـــيـــد يُـطـالـعـنى والـعـــيـش مـنـكـودُ
لأنـت يوم الأسى والحـــزن يـاعـــيـــدُ
يُـجـــددُّ الـنـاس من لـبس ومن فـــرحٍ
وعـنـدنـا لـلأسى والـهـمّ تجـــــديـد
المسلمــون وقـد عـشنا خـيـار همـو
كـــأننّا بينهم فى عـــيـــدهمْ هـود
لو أنصف الناس مـا ضـحـّـوا بشـاتهـمـو
بل كـــان قـــربُـانـهـمْ للمُـــعْـــتَـــفى جُـود

في المستشفى ! . . .

(كسرت ذراع الشاعر في موقف نجدة فطوى أيام العلاج على سرير بمستشفى قصر العيني وكان سريره هو اليتيم أيام زيارة المرضي فأنشأ هذه الأبيات يعتب فيها على زوجته إحسان لأنها لم تزره ولم تواسه في بلواه) . . .

هل بالديار لهـذا الصبّ من باكى
ردى علىّ فأنت الصوت والحاكى
لو كان في الحب عدلٌ ما شقيت به
فقد عشقتك في يمنى وبلواك
حتى إذا ما سقانى الحبّ محنته
حرمت عينى من رؤيا محيّاك
وبتّ في القصر تزجى آهتى مقلا
بالدمع أو مهجا بالصارخ الشاكى
ومات جارى وجارى لم أصخ لهما
فقد فقدت لسقمى كل إدراك

* * *

كل المكاسير زارتهم أحبّتهمْ
ولم يزرنىَ إلا طيف نجواك
قد ذقت لذة توحيدى فما نفعتْ

فـاليـوم أسـقـيك عـدلاً كـأس إشـراكى
أرى بهـجـرك جـلاّدى ومـقـصلتى
مـنى وأين إذن ياليل ألـقـاك ؟ . .
أزيد لى في الليـالى ليلة الشـاكى
جنت حـيـاتى في وردى وأشـواكى

* * *

لو وازنت قـسـمتى فى العـيش مـوهبتى
لما جـرى قـدر فى غـيـر أفـلاكى
لكن مـا ظنّ عـدلا كـان يظـلمنى
ذبحـا لروحى وتـنكيـلا بادراكى
كم مـشـهـد سرت فـيه ملتـقى غـيـر
من ظلم مـضطهـد أو زور أفـاك

* * *

شـمـاتة الـعـاذلين السـود تلفـحنى
فى كـل مـضطرب للصـوت والحـاكى
أصـبـحت أنكر حـتى من رثى وبكى
وكم ذكت حـرقـتى من مـدمـعى البـاكى
فـمـادح مـوهبـاتى مـهـدر شـرفى
الغـصن فى راحـتيـه نصل سـفّـاك

إذا كـــشــــفتُ نـوايـاه أرى صـــــدراً
من عـــاطش لـلأذى فى لؤم ضـــحّـــاك
يقضّ مـضـجـعـه شـعـــرى ومنزلـتى
فـــــلا يـودّ ســـــوى بـؤسى وإهـلاكـى

* * *

إحـــسـان لا تفـرقى من مـــحنتى وثـقى[1]
أنـــى عـلـــى الـرغم مـن بـلـواى أهـواك
ولا ترعْـك تجـاعـــيـــدى فـــإن بـهـــا
سطـور غـــيـب أجـــافـــيـــه بإشـــراكـى

---

١ - السيدة إحسان أحمد زوجة الشاعر يومذاك .

أنا غريب . . .

كان بعض أصدقاء الشاعر يداعبونه دعابة قاسية ويتخذون من مأساته ملهاة وأداة للفكاهة فكانت هذه الزفرة الحزينة :

تملّون من وصلي ويغضبكم صدى
فواحيرتي بين العداوة والود
عداوة ذي حقد وود منافق
أأحيا صريعا للنفاق وللحقد ؟ . . .
شربت كلا الكأسين سمّا وعلقما
فلا عون من إلف ولا رفق من ضدّ
ويلهو بيَ الأقران لهواً ،كأنما
أنا الكرة الهوجاء تخطفها الأيدي ! . .

ثورة بائس ! . . .

(رفض أحد رؤساء الوزارات عام ١٩٣٩ أن يقلد شاعر البؤس عملا بحجة أنه ماجن عربيد فكتب الشاعر هذه القصيدة التى تتضح ألما وتفيض ثورة ومرارة ..)

أيعفيك من دمعى نفورك من ذنبى ؟
دع الذنب يحصيه ويغفره ربى
شربت بكأس أنت منتشئ كرمها
كلانا بها طبٌّ على السلم والحرب
تلوم لتقصى الخير عنّى ، وترتدى
غلالة ذى نسك تعبّد فى خطبى
أتصبح قدّيساً لتفسق بالندى
وتهبط بالأخلاق عن شرف القلب ؟ . .
إذا كان قطع العيش عنّى هدايةً
ضممنا إلى الأخلاق مكرمة الكذب
أيخذلنى من لو يشاء أغاثنى
ويُبْدلنى أمناً من الخوف والرّعب
وفكّ إسارى حِسْبةً لقصائدى
وإطلاق ورقائي من المحل والجدْب

* * *

أقلنىَ من حـــبـــسى علـى الدمـع والأسى
وخـذنى مـدى عـمـرى حبيسـا عـلى الكتب

* * *

طعْنتَ سلـوكى طعـنة لو ببــعــضــهـــا
أُصــيــبت ســمـــاء الله قُــدَّتْ مـن الشــهب

* * *

دعــونـى وخـــمـــرى إن كــأسى قـــيـامـــة
من المـوت فى بأســـاء عـــيـــشى أو كــربى

* * *

تحــيــرت فى مــصــر فــمــرجع خــيــرها
إلـي ثعـلـب يعـــــدو علـى الـنـاس أو ذئـب
إذا مـــا كـــشـــفنـا كنـزها آض تبــــره
لمن لـم يكـنِ منـه علـىّ مـــركـب صـــعـب
لكـلّ خـــمـــول أو جـــهـــول ، وتنتــــهى
إلـى يدنـا مـنه الـفـــجــــائع بـالنَّـدبْ
أعـــــــوذ بـآلاء الـكـنـانـة إنـهـــــا
غـــدت هَمَــلاً كـــالعــيس تعطُـو إلى شـرْب

* * *

أيُجمع قومي أن شعري ملهمٌ
وأغدو عيالاً في طعامي أو شُربي

فيا ذلّها تلك المواهب إنها
أضاعت إبائي بين أهليَ أو صحبي

أتغفل تقديري لشعري وتنبري
لتصديق واشٍ جاء يأفك بالذنب

إذا قلت مظلوم تقولون ظالمٌ
ويصبح مُرّاً في مذاقكمُ عذبي

فإنيَ كالحسناء في بكر حسنها
تُعاف فلا ترجى بعرسٍ ولا حبّ

وكالكنز مرصوداً فليس بنائل
به كاشفٌ يوما سوى صرخة الرعب

أقلني من ذا اللوم حتى تقيلني
من البؤس واتركني لما شاءَ لي ربي !

نشيد الأمل ! . . .

أَعُودُ إلى الصِّبّا بعد اكْتهالى
فقد أوْفَى على الدنيا نوالى
تفيض لىَ الصخور أسىً وعطفاً
ويُغفلُ محنتى قومى وآلى
فليت رجال أوطانى صخورٌ
وليت الصخر قُدَّ من الرجال

* * *

أطعتك "مصطفى" فكتمتُ سهمى
فما أشكو مِنِ المحن الثِّقالِ
رحمت خصاصتى وعرفتَ قدرى
وأقصيت الحوادث عن مجالى
فلم أيأسْ وقد أذكيتَ جَمْرى
بآمال أشمّ من الجبال
وأقتل للحجا والشعر شكوى
يبينُ خلالها ذُلّ السؤال

* * *

* يقصد الشاعر مصطفى كامل الشناوى الذى ألحقه بالتصحيح بإحدى الصحف .

أنـا أغـنى امــــرئٍ بـدمى وعـــــرضى
وإن جُــــرّدت مـن جـــاه ومـــال
إذا أنـــا لـم أنـل بـالـعـلـم حـظـى
ســأصــدر عنه بالسُّـمْــر الـعـوالى
فـــإن مـــدّت يـد لأذاى يـومـــا
ســأقطعـهـا جـــريئـــاً لا أبُـالى

قربان البؤس ! . . .

مـــرُّوا عـلى الدار يوم الـعـيـد ضَـيـفَــانا
يرجـــون منهــا نـداها كـــالـذى كـــانا
والـدار حين رأتـهم مُـــقْـــبلين لـهـــا
تـعـــــاورَتْ فى الـبكـا أهلاً وبُـنْـيــانا

* * *

يا مـعـشـر الذيب وَافَى كـلُّ مـغُـتـرب
إلا غـــريبكم فى مـــصـــر مـــابانـاً
ذبحـــتـم الشـــاة قُـــربانا لـعـــيـــدكم
والـدهر قـــدمنى للبـــؤس قُـــربانـا

* * *

ليت العـــبـــاد كـــلابٌ . . . إن كـلبـــتنا
لمـاّ تـزل لحـــــفـــــاظ الـوّد عـنُـوانـا
تحـّـملت قـسْطهــا فى الـبــؤس صـــابرة
لم تشـكُ جَـوعـا ولم تَـسـتْـجـد إنسـانا
لم يتــرك الدهرُ إلا شـِــيـخـــةً عكـفُـــوا

زار الشاعر أهله فى قريته كمشيش فى عيد الأضحى فلوحت له بهذه القصيدة

من فـاجـعـات الرَّدى صُـمّـاً وعـمـيـانا
من كــان يحــسـدنى فليـرتقب سـحـرا
أنِّى عـلى الجـوع أطْوى الأرض حـيـرانا
ليـلتـمـسنى لدى الخـمَّـار يحـبـسنى
فى «الـقـسم» آنـا وفى حـانوته آنـا ! . .

شبابى البائس ! . . .

ضـــاقت به الـدنيـــا فكـن رحــــبـــاً به
قـــد ذلّ مـن غـــدر الزمـــان وريبـــه
لا تـنكـروا الشـكوى عـلى مـــتـــبـــرّم
قلـق الحــيـــاة ، كـــمن يـشـــاك بثـــوبه

* * *

أنـا لا أرى لـى فـى شــــبــــابى لـذة
لهـــفى على مـــرح الشـبـــاب وعــجـــبـه
من كـــان تـوأمـــه الـشـــقـــاء وصنوه
فـشـبــابه حــرب ،عليـه كـشـيـبـه ! . . .

* * *

لماذا أعيش ؟ . . .

طلع الصباح على مجالى فضّة
ومطارف من عسجد تتألقُ
واستأنف الناس الحياة ، فَعاملٌ
جمُّ النشاط ، وعاطلٌ يتحرقُ
وأنا أمام الله يوم وعيده
وحدى ، فجسمى بالجحيم يمزّق
ونسخت إبليس اللعين بمحنتى
فبكل آونة هلاكٌ محدق
أخلقتنى يارب أم أنا واهمٌ ؟ . .
أنا ما خلقت لأننى لا أرزق ! . .

فى عالم الجنون . . .

رعاك الله « مارستان » مصر
فإنكَ دَارُ عقل لا جنون
حَويْتَ الصابرين على البلايا
ومن نزلُوا على حكم السنين
ومن هبطوا بهم من صَرْحِ عزٍّ
إلى أغلال إذلال وهُون
تراهم خائفين فإن أُثيِّروُا
بَمهْزلة فآساد العَرين
وإن سئلوا عَن الأسرار كانوا
كمن أخذوا عن الروح الأمين
وربّ مهرّج منهمْ بقول
يُريكَ الجد فى ثوب المجون
فإن يغضب بقَارصة تباكى
فأبكى العين بالدمع الهتُون
يعذبه عبادك كل يوم
ويَصْلَى الضَّيم حيناً بعد حين

وكم في مـــصـــر من غِـــرٍّ . . غـــبيّ
تمتع بالجـــمــــيـل وبـالـثـــمـين
ولو عـــدلوا لأمـــسى « خـــانكيـــاً »
يعـــذب بالـشـــمـــال ويـاليـــمين ! . .[1]

خانكيا : نسبة إلي مستشفى الأمراض العقلية التي يطلق عليها العامة « الخانكة » وهو النطق للكلمة التركية القديمة « خانقاه » .

من الماضى القريب . . .

تجــافت به الدنيــا فــعــاش ذليــلا
ولم يغنه فــرط الـذكــاء فــتــيــلا
ســلام على حظّ وقــفت بقــبــره
أنوح عليــه بكرةً . . وأصــيــلا
رجوت الحـيا سقـيـاً لربعى فـعـقّنى
وعــدت وربعى لا يزال مــحــيــلا
ومن شــقــوتى في مــحنة العــيش أننى
فـقـدت نصـيـرى صـحـبـة وقـبـيلا
ونـازلت أجناد الحــوادث مــفــرداً
فــأفنيت عــزمى وارتـددت قـتـيــلا
ولا عــجبٌ فــالدهر أظلم حــاكم
يـعــزّ هجــينا إذ يذلّ أصــيــلاً
ولو لم أعش فى جنّة الصـبـر راضـيــاً
لقــضّــيت أيامى أسىً وعــويلا

* * *

* رفع الشاعر هذه القصيدة إلي الملك فؤاد الأول يشكو فيها مأساة حياته عام ١٩٣٤ .

على أنني أرجو لتفريج محنتي
مليكاً بنصر المستجير كفيلا
له غير عرش الملك عرش قلوبنا
فما نبتغي منه الحياة بديلا
خلال ملوك في ملاك طاهر
وفرع سماك بذ فنيه أصيلا
إليك « أبا الفاروق » أرفع قصتي
أحر ظلامات وأصدق قيلا
رواية مظلوم تمثل عمره
على أنها لما تتم فصولا

* * *

فقدت الصبا يارحمتاه على الصبا
وأصبح طرفي عن مناى كليلا
ومات أبي أعشى وأمي سقيمة
لحزنهما مما لقيت طويلا! ...

* * *

أهون أبا الفاروق والعلم غربتي
وأسقط إذ ألقى بمصر جليلا

أمــــولاى إن الـغــــرب عــــز جنابه
بتكريم « روســـو » تـارة و « إمـــيـــلا »
فــهـــلا أرى من جـــانب العـــرش نـظرة
تخــفف عــبـئـا قـد حــملت ثقـيــلا
فـــإن الـصـــدا يـؤذى الحــســـام ولاغـــدا
حــســـام الزبيــدى صـــارمـا وصــقــيــلا
ولو حـــــرم الدهر الـنضـــيـــر من الـندى
لبـــات هــشــيـــمـــا إذ يموت ذبـولا

حسيب وحسيب

بريءٌ وعــيــشي في الحــيــاة مــريب
لقــد صــدَّ عني عــازل وحــبــيب
يقــولـون تب عن فـعلة مــا اقــتــرفــتــهــا
فــيـــارب عن أي الــذنـوب أتـوب
لقــد قــتــل الأكــفــاء أيام بـؤسـهم
فــمنهم بهــا كل الأنـام غــضــوب
وللـشـاعــر الموهوب كــبــر يحــده
عليــه غــريب حــاقــد وقــريب
صــراحــتــه إثم . . وإبــهــامــه أسى
فكـل نواحي حــالتــيــه عــيــوب

* * *

أليـس بدنيــانا حــســاب يخــيــفــهــا
أليـس لأفــعــال العــبــاد حــســيب ؟
لقــد صــار خلق الـلـه لحــمــا وأعظمــا
فـليس لهــاتيك الجــســوم قلوب

جنـنت . . وهل غــــيـــر الجنون يـعــيــبنى

من الـشـــعب لـم يحـــسب عليـــه أديب

من الـبـؤس لـلعــقل الكـبـيــر ضـــريـــة

عليـه يقـاضـيــهـا بمـصـر حـــسـيب

فــــمن قـــبـل الديان لـلمـــرء واحـــد

ومن مــــصـــر ألف . . إن ذاك عـــجـــيب !

والناس فى مصر ! . . .

يا من لجرح بهذا القلب يأسوه
جرح اليتيم المعنيَّ مات أهلوه
تزاور الناس يوم العيد ليس بهم
أخٌ على الدهر يدعونى وأدعوه
أنا الغريب على الدنيا فعالمها
أعدى عدوّيَ يهجونى وأهجوه
فما سمعت على الأعياد تهنئةً
إلا مداهنةً يلقى بها فوه

* * *

يا قومُ مالىَ من ذنب أدان به
ما بال نورىَ إن أظهرتُ تخفوه
لكنها محنة أنتم طواعية
فيها لدهرى ما يأمر تجيبوه
والناس في مصر أعوان الظلوم بها
لو قال كونوا ترابا لى لكانوه
ما العيد إلا بنيلى بعض أمنيتى
فى المجد إنىَ دون المجد معتوه ! . . . .

مداعبة ...

(يداعب الشاعر فى هذه القصيدة صديقين كانت له معهما مواقف وطرائف ونوادر .
أحيانا يشفقان عليه وأحيانا يسخران منه .
هما الشاعر الفنان مصطفى كامل الشناوى الذى كان يتسم بجسمه الضخم والآخر الصحفى الكبير مصطفى أمين والذي كان يتميز بجسم فارع الطول فكانت هذه القصيدة الطريفة فى مداعبة هذين الصديقين لشاعر البؤس ! . . .)

نسـيت اسـمى وحظى والليـالى
وعـشت على التـوهّم والخـيال
كـأنّى "كـامل" فى مـوقـفـيـه
ندى القـصف أو حـوض المعـالى
يصـول على دجـاج عـبـقـرى
يكـاد ببطنه الكـبـرى يلالى
وبين يديه واحـدة العـذارى
شـرى يدها بكـأسٍ أو بمـال
تغـمـغم إذ يُقبلها استـيـاءً
لأنّ الفـيل يعـبث بالغـزال ! ...

* * *

ويجـتـمع البـدين إلى طويل

غـنـىّ عــن أســى الأيـام خـــــــــال

كـــلا الـصـــدرين لـلـدنيـــا حـــبـــيب

وفـــــارس حـلـبـــــة بين الـنـضــــال

ومـــصـطـفـــيـــان فى عليـــا يـراع

يصـــيــد بســـحـره الـبــيض العـــوالى

فـــقلـت لقـــســـمـــتى من لـى بيـــوم

كـــيومـــهـــمـــا ولو فـــوق احــتـمـــالى ؟ . .

أذوق به الحـــيـــاة وأجـــتـليـــهـــا

وفـــــيــــهـــــا أتـقى وقـع الـنصــــال

ولـن أنســـاهمـــا خـلقـــا ونبـــلا

فكـم عطـفـــا وكم رثيـــا لحـــالى ! . . .

أنا وقومى ! . . .

لامـــــوا سكوتى عن بأســــــائهم وأنا
مــــا شِــمْت منهم يداً فى يوم بأســـــائي
فى الحــرب والسلم جـافـونى وقـد ظـلمـوا
حـــــتى ثبـــــاتى فـى خطبى وبلوائـى
أحـــبّــتى فى مــآســيــهمْ ومــحنتــهمْ
وفى مــــآسىً عـــــذّالى وأعــــدائى
مـــــاذا أغنيّـــــه أو أرثى لمجـــتـــمعٍ
مــوتـاه أسْـعِـدْ بـهم من كل أحـيـاء ! ....

إنما الناس عبيد ! . .

مــــــــا لـدى المحـنـة بـدٌّ مـن أسـى
يبـــعث الموتى ليــــرثـوا للـحـــزينْ
كـلّمـــــا هـلـهل دمــــعــــا أورقتْ
دوحــــــــةٌ تـذكـى إلـى المـوت الحـنين
ذبـل الـورد جـــمـــــالا وشـــذى
حـــــرقــــة تروى قـلوب الـصـــابريـن
أيـهـــــا المحــــروم كـم هـد الـدجى
منـك قـلبـــــا لـلـرزايـا لا يـلـين
وحـــشـــةٌ فـى منتــدى أو سكـن
وشــعــورٌ منك بالـعــيش مــهين
كـلّ يـوم فـــــريسةٌ من مـــــــلأ
إن فـى بـــرديـك إبـلـيـس الـلـعين
والـذى أجـــــرى عـلـى المحـل الـندى
ضـن أن يســـقـيك من كـــدْرٍ وطين
وإذا قـلـت ارحـــمـــونى مـــثلوا
واســـتــرابوا بك حـــتـى بالأنـين

لا تقل آه ولا تشك فـــــمـــا

تعـــرف الدنيـــا ســـوى الحـــول المتين

* * *

إنما الناس عـــبـــيـــد فـــإذا

قلت ياســـادة ظلّوا صـــاغـــريـن

كم فـــــزعـنا لـنرى أو نـرتجي

أيّ وجـــه من وجـــوه العـــالمين

فـــأرانا الصل فى ألفـــاظه

لـدغـــات مـرســـلات للمنون

ولمسنا فـــيـــه نابـاً قـــاتلاً

تحـــتـــه نزت أفـــاويق السنين

هات منهـــا من ترجّى عـــونه

لن ترى فـــيـــه غـــدا أى مـــعين

فـــهـــو كـــالزيف خـــســـاراً وإذا

مـا اختبرت الزيف يهديك الرنين ! . . .

دع الشكوى ! . . .

دع الشكوى وهات الكأس نسكر
ودعك من الزمان إذا تنكّرْ
وهام بيَ الأسى والبؤس حتى
كأني عبلة . . والبؤس عنتر . .
كأني حائط كتبوا عليه
هنا يا أيها " المزنوق " . . . " طرطر" ! . .

أين ليالينا ؟ . . .

كلمـــــا أقـــبل ليل أو نهـــــارْ
شـــاقنى الـعــــهـد وشــاقـــتنى الـديارْ
وشـــجــانى ســـحــره هذا المزار
والليـــالى الخـــرد الغــيـــد النّضـــار

* * *

بعـــد طول البَـيْن هـل يجـمع شـــملُ ؟ . .
هـو نـار ، هـو وجـــــد ، هـو قـــــتلُ
يا حـبيبى كيف أنجـو ؟ . . كـيف أسلو ؟ . .

خطبى

أبلغ بخطبى ذا سمع وناظرة
فقد تصامم عنى كل مخلوق
من نفخة الصور آهاتى وقد فزعت
لها القبور ولم يفرج بها ضيقى
كأن دين بنى مصر يحثهم
أنى أظل حياتى غير مرزوق
وللغوانى اضطراب كلما نظرت
عيونهن إلى عينى وتحديق
عطشان للحسن طول الدهر ماارويت
يوما به النفس إلا فيض تشويق
قد أبعد البؤس عنى كل غانية
كما يصد الهدى عن كل زنديق
يروج حول سلوكى كل مختلق
كما يروج افتياتا بائر السوق

سهد الطوى

هل في رحابك ياديار أُضامُ
لا أنت راحمة ولا الأيام
عشرون عاما يستبد بعيشتي
حظ إذا صحت الحظوظ ينام
ليل كأيام الوعيد وهوله
قد مات عنه الصبح وهو غلام
سهدي به من فرط حزني والطوى
والسهد من غيري هوى وغرام

* * *

أيضيق بي الوادي كفافاً بينما
يجني الثمار بشاطئيه طغام
لا ينتهي حربي لدهري أو أرى
يوما أنا في بُكْرتيه إمام
والناس إما والغون بسيرتي
أو منصفون ومالهم إقدام
مازلت أطمع أن أفوز بقسمتي

مــــــــادام يملأ قـلـبى الإســــــــلام

إن كنت مـظـلومـــــا فلى مـن عـــدلـه

سـنـد ولـى من شــــــرعــــــه أحـكـام

لن أغـــمـــد الســيف الـذى أنا شـــارع

فـــأعـــز قـــاضٍ فـى الحـــيـــاة حـــســـام

أنا وحرمانى

- مر الخليط فلا حيوا ولا زاروا
كأننى منهم اللعنات والعار
أصبحت فى مصر خصم الناس كلهم
كأن كل امرئٍ عندي له ثار
سدوا منافذ آمالى وقد قدروا
رزقى ، فعيشى طوال الدهر إعصار
فى كل ركب أنا المنبتُ بينهم
حتى إذا خلفونى عاجزاً ساروا
كم قافلات مضت والدهر يقعد بى
ودون طيبى له بيد وأقطار
وعاش فى النجم من دونى وخلفنى
ومنزلى ماله فى الأرض أشبار
إن قلت آه أجابتنى جهالتهم
الرزق بين الورى غيب وأستار
سل الذى خلق النعمى وقسمها
أليس لى قسمة فيها ومقدار

* * *

يا مـــــصـــــر بين يديـك الآن ملـحـــــمــــــة
أنت الـشـــهـــيـــد بهـــا والبـــؤس بتـــار

الباب الموصد

قصدت إلى بابك الموصدِ
فطُوردتُ بالخادم الأسودَ
غلامٌ يمثل حظّي لديك
وقلبك فى العطف والمعبد
كأنى حين طلبت النَّدى
إليك طلبتُ يد المعْتدى
عطفت علىّ برىّ الكلام
وأُكرمت منك برد صدى

* * *

لقد عشتُ يارب حتى رأيت
من الناس أقسى من الجلمد
فخذنى إليك فأنت الكريم
وقد ضقت بالزمن الأنكد

* * *

أتذكر أيام كنتَ الغنى
وقد جئتنى بائسا تجتدى

أمـــا قلت لى حين فـــاض الســـخـــاء

وضـــاعف مـــارمـــتـــه مـــوردى

مـــددت إليك يدى بالســـــلام

أرانى فـــــداء لتلك اليـــــد

فـــــــــرد إلـــىّ أقل الديون

عليك وحـــاذر خطوب الغـــــد

فلستُ أرى البـــؤس عـــارا إذا

رأيت إبائى من مُـــســـعـــدى

شكوى الزمان

أو تقسطون وأنتم الأكفاء
لا أنتم موتى ولا الأحياء
تعس البشير بكم ، فإن بحكمكم
أن يسعد الأوشاب والدهماء
أو ما رأيت « العسكرى وقد سما
شأواً تزاحم عنده النعماء
يزهى « بحفنى » فى الندّىّ كما زها
بالمالكين أعابد وإماء
واليوم ينكرنى ويزعم أنه
فى عينه تتشابه الأسماء
ويظننى آل (...) وهو جريمة *
نتنت بفيحة ريحها الأرجاء
هل لابن محمود وصالح حكمة
عدل تميز بينه الأشياء !
أيعيش موفور الغباوة مسعدا !
ونعيش يفدحنا أسى وشقاء ؟!

---

* الكلمة المحذوفة اسم الأسرة .

أنشودة الظافر !

خليلى لم أظلم وإن بت ظافرا
وقد تضعف الأضغان من كان قادرا
ألم تريا ذا الشيخ فى طول نخلة
عريض القفا فينان كالفرع ناضرا
ألا لا تلومانى على صفع وجهه
فذلك وجه يقبل الصفع صاغرا
فقدماً رأيناه وللعين أختها
فأمسى مكان العين بالضرب شاغرا
ولو لم يكن "عيش وملح" وصحبة
لكنت لهذا الفحل بالذبح جازرا
هبانى لم أغلبه والحظ خاننى
وعدت من الميدان حيران خاسرا

---

* حدثت معركة بالأيدى بين عبد الحميد الديب والشيخ أحمد العسكرى فى بار اللواء ، وبالرغم من أن الديب أشتهر بأنه جبان فروقة ، إلا أن الحظ وحده جعله بطلا يصرع الشيخ أحمد العسكرى ، واشترك الشاعران الكبيران على محمود طه وكامل الشناوى فى تأليف قصيدة أنشداها فى حادث « الخناقة » المشهور وقد رد عليهما الديب الشاعر المصارع الصنديد بهذه القصيدة ونشرتها صحيفة « فتى النيل » يوليو ١٩٣٩

أمــا كنتــمــا تســتــوكــفــان مــدامــعــا

لمحنــة عـــيـــشى أو أمـــوت مـــغـــامـــرا

لـقـــــد قلـتــــمـــــا هــذا هــزبر وإنــه

من الـشـــاء والمـعـــزى أرى الشـــيخ ظـاهرا

« على الـلـه » عــاش الـشـيخ طـول حــيــاته

فـــلا ولدت أم ســـواه عـــســـاكـــرا

فـــجـــعـنا به حـــرا وعـــبـــدا مـــوســـرا

فـــإن قـليـــلا أن يرى الشـــيخ شـــاكـــرا

وبعـض العـــبـــيـــد المتـــرفين تبـــتكوا

فـلم نـرمنهـم فـى الملمـــــات ناصـــــرا

يطـول على مـــولاه عـــبـــد تـركـــزت

به لعـنـة الأخـــلاق لـم يرع خـــاطـرا

أيقبض هذا الشـيخ عشرين « أهيفـا » (١) ومثلى

يـــطـــوى الـــدهـــر عـــطـــلان بـــائـــرا

ســلام عـلى الدنـيــا إذا بات مـــســـعـــدا

بهـــا "عـــسكرى" رام بـالضـــرب شـــاعـــرا

---

(١) عشرين أهيفا : أى عشرين جنيها

إلى آكلى الذهب

ذوقوا عذاب الطوى يا آكلى الذهب
لا تتركوا الناس نهب الجوع والوصب
أحياء بالدورموتى لست تعرفهم
ماتوا من العز أم ماتوا من السغب
وصابرين يكاد الجوع يطعمهم
مثل البهائم سوق التبن والحطب
يطوون ليلهم سهدا ومسغبة
وليلكم ينقضى فى اللهو والطرب
شبعتم من أفاويق الغنى فدعوا
للجائعين فتات الغنم والسلب
لقد جبنتم عن الهيجاء معذرة
فخلتم الموت بعض النصر والغلب
لستم من الشعب فى دين ولا خلق
وليس منكم على جاه ولا نسب
ومالكم فى سبيل المجد مفخرة
غير التبجح بالألقاب والرتب

شر المهالك

تراكمت الديون على الديب عند المالكى بائع الألبان ، فرفض أن يستمر فى إعطائه الألبان بالأجل ، فكتب الديب يهجوه :

بـرئ منـك مـــــولانـا ابـن مـــــالـك
رمـــــاك الـلـه فـى شـــــر المهـــــالـك
لـبـــــانـك كـلـهـــــا سم زعـــــاف
ومـن غـش الـبـــــريـة رأس مـــــالـك
فـــــويـلـك من رجـــــال الحـى طـراً
ونـســـــوتـه إذا علـمـــــوا بـذلـك !

فى حانة « كركور »

وبعنا زجاجات الطِّلا بعد شربها

لنظفر من أثمانها بكئوس

فيوماً شربناها بعَيْن وفضَّة

ويوما شربناها ببيع نفوس

وشمْنا من « العقاد » أندل باخلٍ

يضَنُّ لدى البلوى بنقْلِ فُلُوس

جزى الله « كركوراً » مُعينا ، فإنه

أضاء ببشر الخَمْر لَيلْ عبُوسى

وبدَّل ماءُ الخُلْد حُزنى بشاشةً

ففارقنى كربى وشدَّةُ بؤسى

* عبث سيد محمد العقاد بالديب حين وعده بسهرة ممتعة ، ستنسيه حرمانه ، ثم أخلف ، فاتجه الديب إلى حانة « كركور » الأرمنى فمنحه زجاجة أنسته حرمانه وغضبه وردت ابتسامته إلى ثغره .

بين الهجاء والشكوى والفخر
مختارات مأثورة للديب

ويارب مـــــا يومى وأين منيــــتى
أمــالى حــتى فى المنية مــوعــد ؟ . . .

* * *

بـالأمس كنت مــشــردا أهـليـــاً
واليــوم صــرت مــشــرداً رسـمـيــاً ! . .

* * *

وفـى مـكـنـتـى أن أزحـم الـنـجـم مـنـزلا
أقـــابـلـه فى برجــــه وأســـايـره
وفــوق احــتــمــال قــد أجــاهد ظافــرا
فـــتظهـــر لى من كـل أمــر ســـرائره
ولـكـننى فى شــرعـــتى لـكرامــتى
يـقـــدر لى فى كل خـطو عـــواثره

* * *

كـن دائمـــــا ذئـب الـفــــــلا
إن أصــــبـــحت دنيــــاك شـــاة

فالدهر أكثر أهله
من أدعياء لا دعاة

* * *

بينى وبين الغنى خصام
وفرقة مالها التئام
فلو تدانى إلىّ يوما
لرده عنىَ الحمام ! . .

* * *

أعود اليوم للربع المحيل
ولؤم الناس من قال وقيل
بقهوة عسكر ينبوع بؤسى
فيالله من بؤس طويل

* * *

أنا فى الليل على سهدى شريد
والأسى يعرف من عبد الحميد
غير أنى فى يد الجلّى جليدْ
لستُ أنسى همتى مادمتُ حيًّا

* * *

لو ذاق هـذا الورى مـــعـــشـــار مـــحنتنا
مـــا قـــاربوا عـــيـــشـــهم دنيـــا ولا دينا
لـم نرتـقب فـــرجـــا فى يوم كـــربتنا
إلا وكـــان لنا ضـــيـــفـــاً يـوافـــينا

* * *

فنظمتُ قلبى والوفـــاء قـــصـــيـــدة
تروى عـلى الأحـــقـــاب والأجـــيـــال

* * *

كلٌّ يغنِّى على ليـــلاه مـــتّـــخـــذا
ليـلـى من القـش أو لـيلى من الحـطب

* * *

تفـــيّـــأت الـدنيـــا مـــديد ظـلال
ومـــدَّ عـلى قـــومى رواق جـــلالى
وطـال حـنـيـنى لـلـغـنـى ، ولـو اننـى
حـنـنت إلى وجـــه الإله بـدا لى ! . . .

* * *

ثيـــابى كـــمـــصطاف الغنى نوافـــذا
ومـــشتى الفـقـير ابن السبيل هشيمـا

ولى غـرفــة كــالقـبــر لم تحــو أرضــهــا
ســواى أثاثـاً كـــالهـــبـــاء قــديما . .

* * *

طـلعـت مع الـشـــمـس من مـــشـــرق
وعــــشت الـزعـــيم فـلـم أســبـق
أنـا ملـك عـــبـــقـــرى الجـــلال
وأن صـــدف الـتـــاج عـن مـــفـــرقى
فـــمـــالى تجـافـت بحظى الســمـــاء
كـــــأنـى يـارب لـم أخـلـق

* * *

أولـسـت تـدرى أن دونـك أمـــــــة
تهــوى الـرفــات وتعـشـق الأحـجـارا
يحـــيـــا الأديب بهـــا طعين سنانهـــا
ولـكم يـعـــانى ذلـة وصـــغـــارا
وإذا قـــضـى قـــامت عـلـى تمثـــالـه
تـذرى الـدمـــوع وتـنـثـــر الأزهـارا

* * *

أنـا ، أو إبـليس لـلـدنـيـــا عَـــمىً

هو خـــــــاف ، وأنـا أبدو جلـيــــــا

* * *

قـــالـوا « كــريم » قـلـت : مـــا بـرهـانـكـم
الـكف مـــــعطيــــــة هى الــبـــــرهـان
فـــالـلـه لـو لـم يـحــــبـنـا بـعـطـائـه
مـــــــا كــــــــان إيمـــان ولا أديـان
قـل لـلـذى أطـريتـــــه فـــــأدنتـــــه
مـنى الجـــــمـــيـل ومـنكـم الـشـكـران

* * *

ضـلـت الأقــــدار تـقـــســـيـم الـنـعـم
قـــســمــة ضــيـزى ، وأخــرى عـن كـــرم
كــيـف يـعـطى الـراحـــة الـكـبـــرى صـنـم
ويـذوق الـبـــؤس حُـــــر عـــــالـم !

* * *

هجـتـهـا شـوقـا ، فـقـالـت « هـيت لك »
والهـــوى يـغـــرى عـلى الـفــسـق المـلـك
ارحـم المـســـفـــوك والـعـن مـن ســفـك
« لـسـت مـظـلـومـــا ، فـــإنـى ظـالـم » !

* * *

بُليت آخر عُمري بالمرائينا
الواقفين على باب الثريّنا
من كل شيخ قد التفت عمامته
على المذلّة يطوي عمره هونا
غنيٍّهم باع من غلات بلدته
خبثا ، وطالعنا نذلا يباهينا

* * *

بار اللواء جمعت بعض كتائبٍ
والحقد فيهم مستبدٌ متلفٌ
وقفوا كما وقف الزمان بمحنتي
لدمي البريء جميعهم يستنزفُ
أأعيش بينهم شقيّا معدما
وهم غنى ناعم وموظّفُ .

* * *

إيه ياعبد الخنا ما آنذلك
عُدْ إلى النخّاس تعرف منزلكْ
تشتم الدّيب وكمْ من محنةٍ

يشـــتم الـقـــدّيسُ فـــيــهـــا والمَـلَك

* * *

عــمـــة تحـتـــهـــا ضـــلال ولؤم

وهـــى عـــش الخـنــاويــيـــت الـــداء

نســـجت من ســـفــاهة وفـــســـوق

وعـلى الخــــســـّــــة انطوت والـريـاء

أطعـــمت ربّهـــا دجـــاجـــاً حنيـــذاً

وســقــتــه « الكونيــاك » بعـــد الماء ! . .

* * *

((بــد ..)) لـــم أنــس ولـــم تــنــســنــى

فـكـيــف يــا ابن الأمـــس أنــكــرتـنــى ؟

ان كـنـت ذقـت الـيـــــوم طعـم الـغـنـى

فـلـيـس هـذا الخُـلـق طـبـع الـغـنـى

يـا مـــدره المرأة مــــهــــتــــوكـــة

ويـا مَـــحــــامى النَّذل والأرعنِ

مــا زلت شــيــخــا نابيــا خـلقــه

فـــأنت والعـــمّــة من مـــعـــدن

* * *

شمته الروض أريجا . . فذوى
خلته النجم ضياء . . فهوى
وإذا أنشد شعرا أوروى
ضجت الدنيا وضاق العالم

* * *

إذا جن ليلى آكل السهد جائعا
ويأكلنى سهدى ، ودمع جفونى
وإن لاح صبح أسلمتنى للأسى
عيون خصومى أو خصوم عيونى

* * *

الجود عندكم ، أضغاث أحلام
أكل الذبيحة من عام إلى عام

* * *

وثوى فى « الخان » أوشاب العجم
مكرمو « الغلمان » أعداءُ الكرم
صائدو الأطيار من بين الحرم
لست مظلوماً . . فإنى ظالم

* * *

إيه يا فصل الشتاء ياعدو الفقراء
خانني فيك غذائي ، خانني فيك كسائي
حين عز الدفء في داري وعند الأصدقاء
قلت لله تعالى أجعل النار جزائي

* * *

أأبكي وشعري بين قومي يغرد
وأفني وذكري في الوجود مخلد
وأشقى الربع جانبه الحيا
وفي الكون آلاف بعلمي تسعد
ولو لم يخافوا الله قالوا صراحة
" أعبد الحميد الديب " إياك نعبد

* * *

نعل تعالى عن الإكبار والعظم
توّج به الرأس لا تلبسهُ في القدم
لو كان في رجل « موسى » يوم موعده
لكان أقدس من واد ومن علم

البدر في ليلة الغارة

أخافنا البدر فى الهيجاء والنور
فالنور فى محنة الغارات محذور
وما تعود منا البدر جفوته
لكن من خاف منه الموت معذور

* * *

هل السماء تحدانا مشارقها
وما قضى الله لا يخفيه ديجور
كأنما البدر جاسوس يتم بنا
وكم بمشرقة قد بات مستور
أو أنه نية سوداء يعلنها
للكيد مضطلع بالدرس مصدور

* * *

يابدر تظهر فى الغارات مفتضحا
لأنت يابدر نشوان ومخمور
يامشعل الموت فى قوم يفاجئهم

وليس يدفـــــعــــــه رأى وتقـــــدير

قـــد تلـعن العين حـــسن الروض إن سكـنت

به الأفـــاعي وحـــاكـــتـــه الأعـــاصـــيـــر

* قيلت عام ١٩٣٩ أثناء تعرض مدينة القاهرة للغارات الجوية فى الحرب العالمية الثانية .

بأى قوانين الحياة نداس ؟

بأى قوانين الحياة نُساسُ
وفى كل يوم بالطغام نداس ؟
خلقنا بجيل ذلة المرء بيته
على قدرة فى النابغين تقاس
فعشنا ضحايا للمواهب والحجا
ترينا ديار بين مصر وناس
إذا ما أبينا الذل قالوا : تكبرا
ويغتابنا فى العالمين جساس
وتقطع أيدينا تقدم بالهدى
وأيدى اللئام المجرمين « تباس »

عيدى فى السجن !

على القرب من سجن الرئيس وصحبه
وقفت على صمت ودمعى ينطق
ذكرت أحبائى فذابت حشاشتى
وقد كان يضنينى إليهم تشوق
لك الله ياقلبى حزينا محطما
فدمعك من دمع المحاجر أعمق

* * *

أفى العيد أم فى السجن أنظم باكياً
وأيهما فى حلبة السجن أسبق
فأعياد هذا العهد أمست مآتما
تكاد بها الأرواح بالفقر تزهق
قبيل بها للشاء يذبح هانئا
وآخر مذبوح من الفقر يهرق

★ يقصد بالرئيس هنا « أحمد حسين » رئيس حزب مصر الفتاة (١٩٣٩) الذى كان معتقلا يومئذ فى قضية سياسية .

دنياى

دنيــــاى أنت لغــيــــرى مــصـــبحٌ ألقُ
وأنت طيلة عــمـــرى الليل والغـــسقُ
حــرمـــتنى وسـقـيت الناس من غــدق
كـــأننى هالك والناس قـــد خلقــــوا
إن التى حــرمـــتنى قــبلةً خـضـعت
لأنف وغـــد وأفنى حـــزنهـــا النزق
ياوقـــعــهـــا طعنة فى العـــيش قــاتلة
جـــرحي بهـــا مـــاله شـبــه ولا نسق
إذا سلكت اللظى فى العــيش مـرتجــيـا
بعض الكفــاف كــوتنى دونهـــا الحـــرق
مـــر القـــفـــار كـفـــافى إن ظفــرت به
وفــى حـــريرىَ ذا المتـــــروك والخـلق
يـارب قــــــد لـعنونى فـى ديارهـم
وهلهلوا دونى الآثام واخـــــتلقـــــوا
والصـــادقـــون إذا مـــا أشـفـــقــوا كـــذبوا
والكاذبون إذا مـــا صـرحـــوا صـدقـــوا

آخر الأناشيد

طـالـت علىّ الـسنون واعــــتـــــصـــــرت
دمى .. وأوهـى عـــــراكــــهـــــا دمى
ولـيس بـعـــــد الـشـــــبـــــاب لـى أمـل
فـــــفـــــيم أبقى ... أمــــا مــــضى زمنى

* * *

حظى(*)

إن حظـى كـــــدقـــــيق فـــوق شـــوك نثـــروه
ثم قــــالوا لحـــفـــاة يوم ريح اجــمـــعـــوه

---

* اختلف النقاد حول نسبة هذا البيت للديب ، لكن رجح العديد من معاصريه أن الديب أطلق هذا البيت فى لحظة من لحظات يؤسه وثورة نفسه ، ويدللون على ذلك أن الديب فى أيام زواجه الأولى عام ١٩٣٩ لم تكن تسعه الدنيا ، وفى لحظة من لحظات الصفاء النادرة التى أحس فيها أن الدنيا ابتسمت له سئل هل مازال متمسكا بعقيدته فى سوء حظه الذى عبر عنه ببيته الشعرى المشهور هذا ، فأجاب : لقد ابتسمت لى الدنيا الآن ، وأنشد قائلا :

إن حظـى كـــدقـــيق فـــوق ورد نثـــروه
ثم قـــالوا لأكف ناعـمـــات يوم عـيـد اجـمـعـوه
ســهل الأمـــر عليــهم ، قـــول من قـــال اتركـوه
إن من أعطـاه ربى كـــيـف أنتم تحـــرمـــوه

لماذا شقيت

قـــــاضىّ حـــــاذرْ واعـــــدل
وانـــظـــر مـــكـــانـــى مـــن علٍ
كُـــسـيتْ ضـــيـــائى النيـــرات
وأشـــــرقت مـــن مـــنـزلـى
والـــروض غـــنّـــى وارتَـــوى
مـــن نـغـــمـــتى أو جـــدولـى
وجـــعـلتُ من حـظـى وعـــيـــشى
قـــســـمـــةً ... لـلـمـــجـــتـلى
فـــاذا بى الهـــمـل الشـــقىّ
أســـــام بـخس ... المُـــبـطل
نجـــــم هـــــوى ، روض ذوى
مَـــيْتٌ ثُوى فى مـــجـــهـلى
قـــد غـــيض مـــائى .. عىّ دائى
مـن قـــضـــائى المبـــتـلى
فـــى كـل يـوم مـــحـــنـة
مـن صـحـبـتى أو عـــذّلى

* * *

آمـنتُ بـالقـــــدر الخـــفىّ
وبـالـقـــضـــاء المـنزل

والـلـه أعـــــــدل أن يعـــــــذّب
شـــــاعـــــــرا لم يجـــــهـل
لكـنّ قـــــومى حـــــاســـــدىّ
وتـــاركـــىّ بمـعــــــــــزل
إن كـــــان شـــعـــــرى مـــسـلمىَ
لحـــــــواســـــــدى .. لا أمّ لـى
حـطمـــوا الغـــصـــون الراقـــصـــات
وأردفـــــــــــوا .. بـــالـــبـلـبـل

* * *

يـا لـيـل .. ياصــــــبح .. اعـطـفـــــا
لمعـــــذَّب ... مـــــتـــــعـــطّل
أرتـــاد أبـــواب الجَـــــــهـــــاد
فـــيـنـبـــــــرى لى عـــــذّلى
هـذا يـجـــــــــرحـنـــى .... وذلـــك
يمـعـن فى مـــــقـــــــتـلـــى
فـــأمـــوتُ إذ يحـــيـــا الـطـغـــام
بـنـعـــمـــة المتـــفـــضّلِ
يُكـســـونّ من غـــالى اللـبـــاس
وأكـــتـــــســـى بمهـلـهـل
شـــربـوا نمـيـــــرى .. بـيـنمـــا
أروى بـــفـــــــيـض الحـنـظـل
يـا طـالمـا ... طـالـعـــــتـهـم

فى أنسهم وتبلبلى
فتضاحكوا وتغامزوا
من كربتى ... وتجملى ..
وبكل يوم يرقبون
ضراعتى وتوسّلى
وأنا أزيد ... كرامةً
مهما تضاعف محملى
وأريهم الضدّين فى
ضحكى ودمعى المرسل

* * *

وحكومتى إنْ رمتها
لظلامتى لم تقبل
ولو أننى رمتُ .. الحجارة
فُجّرتْ عن سلسل
أولستُ من شعب المليك
فأستظل وأجتلى
آلكم جميع حبائه
طول الحياة وليس لى
يا منِ سألتَ بقسمتى
عن ميْت حظّى فاسأل
سأظل جهدا أو أموتَ
لعل كربى .. ينجلى !

من شاعر يموت ...
إلى شاعر مات ...

مـــــوشك ركـــــبى إلى هـذى الرّحـــــابْ
تنقـــــــضى الدنيـــــا ... ولـله المآبْ
فـى طـريـقـى لـلردى إذ نـلـتـــــــــقـى
أنـا والأحـــبـــاب فـى يـوم الحـــســـاب
خـلّفــــونى فى الحــــمى أبكـى الحـــمـى
وأُرجىّ الموت فى شــــرْخ الشـــبـــابْ
كــــــيف لا أرقب مـــــــوتـى وأنـا
طـول عــــمـــرى كل يومٍ لى مُـــصـــابْ
خـلّفـتْ لى البـــــؤسَ أمى تـوأمـــــاً
بـل أنا البـــؤس ... أنـا نفـــسى العـــذاب
لـم أكن بـالهــــمـــشــرى فى صـحّـــــة
أو جـــمـــالٍ أو مـــتـــاعٍ أو رغـــابِ
لـيت ربـى إذ قـــضى قـــــد رامنى
وعــن المحـظىّ لـلـدنـيـــــا ... أنـاب

* * *

كــــان لى منه وفـــاء قـــد خـــلا
وحـــمـــاه الله حـــتى من عـــتــاب
وتـنـاشـــــدتُ وإياه .. فـــمـــا

عبتـه أوشام لى شعراً يُعاب
شاعر أخفاه شعب تختفى
بينه الحكمة أو فصل الخطاب
عن نميرٍ أو نضير يرعوى
بينما يُزهى بتمويه السراب

* * *

كيف أحيا بينه فى مِحنة
تملأ الأعين منّى بارتياب
وأنا أسمع دوما أو أرى
مدح شعرى أو تحيات الرِّقاب
وإذا طالعتُ يوماً معشراً
يتجافي بي .. ولى فيه الصحاب
كلهم يزور عنّى ... مثلما
غضب الزاجر من وجه الغراب
فكأنى لعنة قد جُسّدت
أو رسول لنشورٍ وانقلاب
أطفأوا نورى بتجريحى وما
تركوا لى فى المنى أدنى نصاب

* * *

نم صديقى وارتقبنى فى غد
وغدٌ أقرب من محو الحباب

لم نمتع بحياة أو غنى
فلنمتّع من تضاعيف التراب
لا يرى الشاعر فى مصر ندى
غير ما تجدى مخازى الاكتئاب
لم نُثب فيما جهدنا .. عُمرنا
فلنصبه اليوم فى دار الثواب

* وجه الديب هذه القصيدة إلى روح الشاعر الرومانسى م.ع. الهمشرى الذى رحل عن الحياة فى ١٤ ديسمبر ١٩٣٨ وهو فى زهرة عمره إثر عملية جراحية .

توبة

تـركـت الطِّـلا حـــتّى حطَمْتُ كـــؤوسى
وخـــاصـمتُ نـدمـــانى بهـــا .. وجليـــسى
ولـى مـن رضـــاء الله أذكى مـــدامــــة
أبيت بهـــا نشـوان غــيــر خــســيس
شــربت الطـلا فى ذكـــر ربّى فـــأسكرتْ
فـــؤادي كــــئـــوسٌ لم تـدر بـرءوس
وقــد كنتُ إمــا أشـربُ الخـــمـر ســادراً
أثيـــر إغـــاراتي .. بغـــيـــر وطيس
وأوقــدُ من مـــاء الرّحـــيق ... جـــهـنّمـــاً
وأرجـــو ســـعـــودى من ظلام نـحـــوسي
ومـــاذا وراء الخـــمـــر ... إلاّ رواية
تمثـل أحـــزانـى وشـــدّةَ بـوسى
فـــأســرف إســراف الخـليع وأنتـــهى
إلـى عـــقـل مـــجـنـون ونوم حـــبـيس
فـــلا الليل أشـــجـــانـّى بسكرى ونشـــوتى
ولا الصـــبّح فى ضـــوء به وشـــمـــوس
إلى الله أشكو مـــا فـــقـــدت من الصـّبـــا
بحـــانة خــمّـــار وبيت قُـــســوس
فـــمن يـدعنى للـكأسَ بـعـــدُ فـــإنّنى
تـخـــذت الهـــدى كـــأسى وروح أنيـــسى

أحزان العيد

من زائرى بالعيد من بالباب ؟
وهم فقدت به رشيد صوابى
قد خلت بالأصحاب بعض هناءتى
واللؤم كل اللؤم فى الأصحاب
هم قادرون وماتشاء خلالهم
أن يكشفوا كربى وسوء عذابى
لكنهم حذقوا الهروب من الندى
بملامتى فى شقوتى وعتابى
والجسم أصرح فى الردى من خمرة
فيها الردى من تالف الأعناب
ذبحوا الخراف مُخافتين وجددوا
فى عيدهم من فرحة وثياب
أنا لست أستجديهم لكننى
منهم أقر براءتى ومتابى
إن فاتنى عيد الحياة وسِرها
سأرى هناء العيد يوم حسابى!

العزيز الذليل

عــظيــمٌ .. ولــكــنَّ الحــــــــــــوادث أعــظــمُ
وشـــــــهــمٌ ولـكـنِّى عـلـى الـذلّ مــــــرغـم
إذا مـــــــارآنى ســــــادرٌ .. بـين مـــــحـنْتيٍ
حــــزينا تجــــافى بى فــــأبكى وأبـسم
مـــشـــايعــــةً لـلناس أحـــســو مُـــدامـــتيٍ
فـــسكرى صـــحـــوٌ والفــــؤاد مـــحطّم
لـنجــــــــــدة أوطـانــى أخـف إلــى الـوغــى
فـــــمــــــــــا راعـنى هــول ولاردنى دم
وهلـهلـت شــعـــرى فى اســـتـــثـــارة أمـــتى
وكم صـــحتُ فى قـــومى إلى المجـــد أقـــدمـــوا
سـلـوا عـنِّى الجـــــــلاّد كـم هـزَّ ســـــــوطـه
بـنــاء تجـــــاليـــــــــدى ... ولا أتـظـلّـمُ
سـلـوا عـنِّىَ الـسّـــجْن الـرّهـيـب كـم انـبـــــريٍ
بمعـــــــــقـلـه منّى رفــــــــات وأعــظـمُ
وأســـــتنزلُ العُـــــصْم الحَــــصَـــان من المنيٍ
بجـــمــــــر من الأشـــعــــــار منه ... جــــهنّمُ
فـــجـــــوزيـتُ مـن تلـك الـبــــلاد ... بما تـريٍ
ســـجـــودٌ لأشـــعـــارى وعـــيـــشىَ مُـــعـــدم
إذا رمتُ عـــيـــشى من جـــهـــودى وهمـــتى

تنكر لى منهم كـــفـــورٌ .. ومـــســلـمُ ..
وقــالوا أخــو كــبــر ... وفــيــه مــجــانةٌ
يؤخــــر رَجـــلاً فى الـعـــلا ... ويـقـــدّمُ
ويأكلِ عـــرضى منهم كلٌ حـــاســـد
له هـمّـــة أخــرى وحظٌ مـــقـــدّمُ
تـصــافــحنى أطراف أيـد ... أثيـــمـــة
ولـو قـــدرونى بـالقلوب لَـسـلّمـــوا ...
ألستُ شـبـيـه الطّير يشـدو مـغّـردا
لقـــوم ... ليـسليـهم ويُذبح ... منهـمُ
ألـستُ إلـهــا ... كـلـمــا لاح نـوره
هدى الناس رحـمـانا وهُمْ فـيـه : أجـرمـوا

ركب السعداء

مشى الركب لم يعبأ بدمعي ولادمي
وخلفني أبكي على قبر ملهم
على قبر حظي في الحياة وقسمتي
على ميْت آمالي وعيشي المحطم
تخلفت عنكم مرغما وكأنني
أنا الكافر المنبوذ من كل مسلم
مشى الركب والنعمي تحف بدربه
ويسبق ركب الحظ في كل مغنم
أكلتم .. لبستم كل خزٍ وعسجد
وقُدْتم حمى الدنيا قَيادة ملجمٍ
وجندتم الأجناد تحت لوائكم
عبيداً لكم مابين نذل ومجرم
رأيناكم في المجد لم يعد خطبكم
هناءة ميسور ولذة معدم
إذا ما حرمنا الرزق والعرض وافر
فلسنا نبالي العيش بين جهنم !

بؤسى وبؤس طه

عشرون عاما أنادي
ولم أجد لى سميعا
وأنّ طه فأنت
له البلاد جميعا
يارب حتى ببؤسى
أرى مكانى وضيعا
يبكون عن بؤس طه
ولم يذق فيه جوعا
ولا تشرّد يوما
ولا أصاغ مطيعا
ولا عداه رحيل
لم يرج منه رجوعا
أما أنا ، فترانى
فى كل يوم صريعا
ما مر يوم بعمرى
إلا وكان مريعا
مهاجر فى شقاء
أطويه عريا وجوعا

* يقصد د. طه حسين وكتاباته عن ذكريات البؤس والمعاناة .

أرجو الحياة كفافاً
واليسر لن أستطيعا
وإن بؤست كطه
أرى الحياة ربيعا
مالاً ، وجاها ، وعلماً
وثروة لن تضيعا

البلبل الذبيح

عيون المعزّيّ ، أين منك دموعى ؟ ..
وقلب المعزى أين منك هلوعى ؟ ..
لقد ألبسونى التّاج فيٍ ذلّ دولتى
فيا مُلك مغلوب ، وعز وضيع
تعطّرت الدنيا بشعرى فصوّحتْ
بمهزلة الأحقاد زهر ربيعى
يقولون : موهوب على عبقريّة
فهل عبقرى من يعيش بجوع ؟ ..
ولم أدر ما حظ الأُلى يهدموننى
سوى أنهم يبغون ذبح صريع
وأسمعت أبراج السماء شكايتى
وللأرضِ ... لم أظفر بأىّ سميع
إذا رمتُ عيشى عاملا فكأنّنى
رجوت يهوذا .. رحمةً بيسوع
فأقدمت للعيش الكفاف مجنّدا
مواهب لم تخلق لغير رفيع

معهد الموسيقى

يا دار داود ما فاتتك سَرَّاءُ
يشدو بها مُلهماً غصَن ورقاءُ
آسيت كل جراح القلب من نغم
يُرجى به من عيون الفن أكفاء
من عازف أو هتوف إن هما اجتمعا
تجمَّع الحسنً، والمخضرُّ، والماءُ
وعبقرىّ غناء من ترنمه
تصفو النفوس، فما فى الناس أعداء
فتخلق الحب موسيقاه ملهمة
وكل فن له خلق وإنشاءُ
إذا سرى بين مَوتَى سحر نغمته
أعادهم وهمُ فى الناس أحياء
والعُودُ كالقلب فى تكوين خلقته
أوتاره ونياطُ القلب أنداَء
ولست أهضم «القانون» نغمته
فذاك شيخٌ .. له الآلات أبناءُ
«والنَّاىُ» إن صحب «القيثار» فاستمعوا
صوت العبيد بِذلِّ الرِّقّ قد ناءوا

للطار والطبل دقات منغمة
كالقلب فى شغف تسبيه حسناء

* * *

يا معهد الفن ، يا أهرام دولته
ويا سماء بها للفن إسْرَاء
فيك العبادة ألحان مقدسة
وكل ماتحتوى لله إرضاء
كم ذا تخرج للدنيا ملائكة
فما لفضلك تقدير وإحصاء
كانت عواطفنا مرضى فكنت لها
بُرءاً أقام بها ، واستؤصل الداء
جعلت تربية الأوطان مرهفة
والفجر يُمْحَى به ليل وظلماء

هات المدام

هات المدام فدين الله تيسيرٍ
فأسعد الناس مخمورٌ ومخدور
هات المدام ولاتعرض لمتْربتى
مهما غَلا العيش لَم تَغلُ القوارير
هات المدام الصَّبُوح البكر يحملها
إليك أخنسُ سَاجى الطرِف مغرور
إذا دعوتَ تراخى عنك مُعتذرا
وأسكرتْ كالطِّلا منه المعاذير
فديتها حانة «الحاخامِ» هادئة
سكْرى يُعربدُ فيها الحُسْنُ والنور

ليتنا مثلهم

نعـــيب الحـــضــــارة ، عـــيش العــــراء
وورد الـعـــيـــون وسكنى الخـــبـــاء
ومـن لى بعـــيش بـهـــا فى كـــفـــاف
وخـلق رضىٍّ كـــصـــفـــو الســـمـــاء
ومـن لـى بصـــبـح تـهـب الخـــزامى
بـه فـــأصـــيـب المنـى والـرجـــاء
لقـــد مـــحلت فى الـقـــصـــور الـنفـــوس
فـكـل الـذى تجـــتـلـيـــه ريـاء
وبـين الحـــضـــارة مـــات الـندى
ولـم يعـــرف الـنـاس مـــعـنـى الإبـاء
وبـين الحـــضـــارة عـــاش الـنفـــاق
فـكـل الـذى شـــاءه المـال شـــاء
فـــلا مـــســـتـجـيـــر يرى منجـــدا
وكـــيـف يجـــيـب الأصم الـنـداء ؟
ولا وطـــن ريـــع يـــلـــقـــى يـــدا
تـزور وقـــلـبـــا يـضـم الـوفـــاء
جـــمـــال الـبـــداوة أو مـــجـــدهـا
بـعـــيـــد عن الـلـغـــو والأدعـــيـــاء
جـــمـــال من المضـــرىِّ الأبـى

عظيم الخلال عظيم البلاء

إذا هاجم الجلسة الفاتحون

تصدى الرجال لها والنساء

وأرخصت الذادة الروح كبراً

وهان عليهم عزيز الدماء

وفي الخطب لم يذكروا أي خلف

ولم يعرفوا بينهم من عداء

جوار الشباب يهب الشيوخ

إلى الحرب كلهم أوفياء

فأين الحضارة من عيشة

بها كل رأس يمس السماء

وأين الحضارة من جنة

غنى النفس فيها بعود وماء؟

وأين الثريا وأين الثرى

وأين من البدر هذا البهاء؟

أحزان الأسد

مشى يختال فى الغابه
له الأدغال أوابه
فلا يشحذ عينيه
لما يلقى .. ولا نابه
له كبر يعذبه
وكبر الليث ما عابه
حسير اللحظ همته
لدى الأرزاء وثابه
وئيد الخطو وثبته
إذا ما اهتيج غلابه
وحوش الغاب خاشعة
أمام الليث هيابه
فلا منها أخو شمم
يغلق دونه بابه
ولا عاص ولا حقد
على مولاه أسلابه
إذا ما الجوع أرغمها
أتت تمتاح أعتابه
إذا ما رابها زمن

فليست منه مرتابه
يراها فى معيته
أعابده وحجابه

* * *

فجرّتْ شرة الإنسان
للضرغام أوصابه
تصيد شبابه فرحا
يغذى منه آرابه
وخلى الفيل فى حرق
فيالله مانابه
فجاء الليث ملتهبا
تخال الموت إرهابه
فلم ير شبله ورأى
لذئب الشبل أثوابه
فجن جنونه وجرى
وكل الكون قد رابه
ومن ترجيع زأرته
أقام البعث فى الغابه
وحارب حرب موتور
أعاديه وأحبابه
فهد الثقل قوته

وأضـــنى مــنـه أعـــــــــــصــــــــابـــه
ومـــن يفــــــــــــجع بــواحـــــــــــدة
ســــــــقـــــــاه زمــــــــانه صـــــــابه
فـــــــمــــــات الـلـيث منتـــــحــــــرا
بمدمـــــــعــــــــه ومـــــــا انتــــــابه
ودمــع الــلــيــث يقــــــــــــــتــلــه
ويـفـنـى فــــــيــــــه أحـــــــبـــــابه

جنة وصحراء

ما راح فى محنة الأيام أو جاءَ
إلا أضاف إلى البأساء بأساءَ
وإن تطلب غيرى عيشه رغدا
كانت له الناس والدنيا كما شاء
والدهر منى كأنى عبقريته
ما آدنى إلفه بكرا وإنشاء
زلت بمصر نفوس النابغين بها
فكم أهينوا بها موتى وأحياء
والجهل فى الشعب يعميه فليس يرى
إلا الكفايات والأكفاء أعداء

* * *

يا مصر.. ياجنة الدنيا ونعمتها
لم تلف بينك لا زرعا ولا ماء
أطاعت للناس خلدا لا نفاد له
بينا نداك طوال الدهر صحراء
إذا مرضنا وآدتنا مواجعنا
كانت منياتنا فيك الأطباء
وإن عشقنا وجدنا فى صبابتنا
كانت عواذلنا فيك الأحباء

وإن شــــربنا بكأس ، فــــالرحـــيق بهـــا
دمــــوعنا وحـــمـــيــــاها غــــدت داء
فــأى حـــال نرجـــيـــهـــا لتــسـعـــدنا
يــارب أهــلك بـهـــذا الشـــعـب حـــواء

النجوم

أنجـــوم أنت أم دمع الســـمـــاء خـبـرينى
أم جــواسـيس علينا رقـبـــاء كـل حــين
أنت يـا أنجم أســيــاف القــضــاء فــارحمينى

*　　*　　*

عــاشـقــات أنت فى ثـوب السـهــاد لــن تنــامـى
كـلـنـا جـــانبــه طـيـب الرقـــاد فى الغــرام
لـيس يـثـنـينـا إلي يـوم المـعـــاد أى هـــون

*　　*　　*

يـالحـــاظ الحـــور من بـين الجـنـان وامـضـات
يانـقـــودا ضــربت أيـدى الزمـــان خـــالدات
يا عــقــودا فـوق أجـيـاد الحـســان ارحــمـينى

موت القمر

طلع البدر غريقا
بين أمواج الغمام
لايرى فيها طريقا
بالغاً برَّ السلام

* * *

وأنا أرنو إليه
بين يأس ورجاء
طرت من حزنى عليه
فوق أسباب السماء

* * *

صحت فى الأنجم أبغى عونها
فى خلاص البدر من موت مشين
فتولت وتجلى حقدها
كيف يرجى العون من خصم مبين

* * *

قلت يا أرض : انجدى بدر السماء
واذكرى إشراقه بين الظلام

---

* يعتقد الليب أن القمر «شاعر السماء» ، وأنه «شاعر الغبراء» ولهذا أنشد هذه القصيدة يصف فيها تقاعس الكون عن نجدة القمر وهو يموت .

إن فــجــعنا فــيــه فــالدنيــا هبـــاء
وعلى الأرض ومن فــيــهــا الســلام

* * *

فــعــرا آذانهـــا وقـــر صنيع
وتعــامت عن دمــوع المســتــجــيــر
وبدا في وجـــهـــهـــا لؤم وضــيــع
يظهـــر الحـــقـــد على البـــدر المنيـــر

* * *

أيهـــا المدلج : هل تنسى مــجــيــرك
من تجلى عطــفــه بين ســـراك
أيهـــا العـــاشق : هل تلغى شــعــورك
في هلال البـــدر .. مـــا أقـــسى هواك

* * *

انــظـــر الـــورد يــنـــاجـــى
حـــسنه بين الخـــمـــيـلـه
انظر الطيـــر يهـــاجـــر
دونــه حـــتـــى خـليـلـه

* * *

ليس غـــيـــر الحـــسن يبكى للجـــمـــيل
ليس غـــيـــر الطيـــر والورد النضـــيـــر

ليس للبدر حبيب أو خليل
غير شدو مستجاب أو عبير

* * *

هكذا فى الأرض يقضى
شاعرٌ وفى السماء
كل من فى الكون يغضى
عن شقاء الشعراء !

عرس المليك

أنات محروم ، وذلة عافى
وشقاء مغمور المواهب خافى
وأجوس جنّات النعيم إلى العلا
فإذا بأرجاء الجحيم مطافى
والناس قد جعلوا ازدرائى فكرة
توحى بها الأسلاف للأخلاف
وحرمت حتى من حنان عشيرتى
لا راحمى أهلى ولا أُلاّفى

* * *

أأصوغ فى عرس المليك قصيدة
وأنا إلى الموت الرهيب زفافى؟ ..
وطويت عمرى لم أفز بحليلة
إلا حليلة عزتى وعفافى
لو كنت من شَعب المليك نظمتها
من مهجتى وعواطفى وشغافى ...!

(*) قالها عندما طلب منه تهنئة الملك فاروق بزفافه عام ١٩٣٨ على الملكة فريدة.

حتى الرغيف فقدناه ! ..

عادت ليالى ابن يعقوب ودولته
وآدنا المحل لا ماء ولا شجرُ
نرعى الهشيم بوادينا على سغب
واليانع النضر يرعى الشابع البطر
إذا استغثنا طبيبا فى مواجعنا
بدا لنا جرحه والموت ينتظر
وكم سحاب رجوناه ليمطرنا
فجادنا من نداه الجمر والشّررُ
حتى الرغيف فقدناه ولا عجَبٌ
فنحن فى أمّة أيامها عبرُ

* * *

فى الحرب والسلم نشكو ليس ينجدنا
إلا خبيث يردّينا ويعتذر
أحياء موتى من البلوى وكم محنٍ
يبدو بها يُسْرنا والبؤس يستترُ
أجنّةُ الخلد فى مصر مصوّحةٌ
والنّار فى غيرها للخيِّر مدّخرُ ؟

منع اللحم ! ..

((منعت الحكومة عام ١٩٤٠ ذبح اللحوم ثلاثة أيام فى الأسبوع فكتب الديب هذه الأبيات اللاذعة)) ..

كلوا الحكومة أو موتوا من الجوع
صوت الضعيف المرجّى غير مسموع
قد حرّموا اللحم فى يومين هل علموا
أن ليس فى فعلهم زين لتشريع
حكومة الفقر والأيام قبلهم
على الورى حرمته ألف أسبوع ! ..

بين الوطنية والفاقة ! ..

رضـــيتُ ، ومن يَمْـــرنَ على حـــزنه يَرْضَى
فـــيــاظلّ أحــلام تـقـلّص وانـفـــضّـــا
ويــا ســـامـــر الدنيـــا ومـــوكـب يســـرهـا
تجـــافـيـت بي نـفْــلاً وأنكرتنى فـــرضـــاً
كـــأنى بين الـنـاس لـعـنـة جـــيـلـهـم
فـــمـن شـــمّت منه العـــيش أوســعنى رفـــضـــا
ويحـــتـــال حـــتـى مـــا يُفـــرّج .. كُـــربتى
إذا عىّ بى كـــلاً ، يـجـــرّحنى بعـــضـــا

* * *

وقـــدمتُ نفـــسى للبـــلاد بخطبـــهـــا
فـــداءً ، فـــســامـــتنى نواظرها غـــمـــضـــا
أحـــتى إذا قـــدّمتُ مـــســـتكرهاً دمى
لشـــعـــبى ، أســـامُ البـــغض منه فـــلا يـرضى
يعـــدّونـه منى انتـــحـــاراً لـفـــاقـــتى
ولسنا ضـــحـــايا البـــؤس مـــثلهم مـــرضى

* * *

أيملأ هذا الشـــعـب حـــبى ورحـــمـــتى
ويفـــجـــعنى فى كل مـــضـطرب بغـــضـــا ؟
أريـد ســـمـــاءً بالجـــهـــاد تعـــزّنى

وشعبىَ يأبى أن يُبوّئنى أرضا
أحولىَ هذا الرعد والبرق وامضاً ..
وتخبو حياتى لا أشيم بها ومضا ؟ ..
لقد جنّدتنى الحادثات لحربِها ..
فأى حقوق للبلاد بها تُقضى
قضاء بإعدامىَ غداة شبيبتى
عجزت فلم أملك لضربته نقْضا

* * *

أريد انتظامى بين أجناد أمتى
أقدم قرباناً شبابى لها غضا
ولكنّ عجزى عن كفافى يؤودنى
فلم أدْرِ طولا للجهاد ولا عرضا
لئن كَان عزمى ماضياً ، فنوائبى
إذا عصفت بالعزم ظافرة أمضى

ثورة محروم ! ..

((نظم الشاعر هذه القصيدة الصارخة عام ١٩٣٩ حيث تعرض بسببها للكثير من المتاعب))

بكم يباع غباء الناس فى بلد
لانافعى بينه علمى ولا أدبى
القابضون على أسباب نعمته
من آكلى العرض أو من آكلى الذهب
والمرسلون لتثقيف العقول به
جهابذٌ فى استراق الفكر والكتب
فرض على شعب مصر أن يدين لهم
كالسّامريين بين العجل والقرب
أين السجون لنغشاها فتنقذنا
من سجننا فى غيابات من الكذب
متى تحرّرٍ شعبٌ من مضلّله ..
لان العصى له فى كل مضطرب
سلوا موالية الأفكار أى هدى
فى الليل ، أيٍ ندى في النار واللهب ؟ ..
بمصر كلّ غبىّ ساكنٌ فلكاً
والعبقرىّ بهـا سكناه من حطب
من لى بيوم .. ضريح أستجّم به
فى يقظة النصر أو فى صرعة الغلب ! ..

الطائرة الساقطة ! ..

((يصف عبد الحميد الديب فى هذه القصيدة الطريفة سقوط طائرة ألمانية فى مدينة الإسكندرية عام ١٩٤٠ أثناء الحرب العالمية الثانية))

يحــــمى الإله مــــلائكا قــــذفــــوك
وســــقــــوا حطامك مِنْ دمــــوع بنيك
أغــــروك بالأرض الحَــــصَــــان من الردى
باسكندريّة ليــــتــــهم نصــــحــــوك
كم ألف قــــاذفــــة توارى نجــــمــــهــــا
قــــذف الكمــــاة بهــــا كــــمــــا قــــذفــــوك

* * *

اســــمع حــــديث الطــــائــــرة
انظر إليــــهــــا صــــاغــــرة
تلك الضــــخــــامــــة والوجــــاهــــة
فــــى مــــداهــــا ظــــاهــــرة
كــــانت عــــروس الجــــو تجــــلــــى
فــــى هــــنــــاهــــا عــــاطــــرة
كــــم غــــردتْ بــــين الكــــواكــــب
فــــى الــــلــــيــــالــــى الزاهــــرة
كــــم طــــوّفــــتْ كــــم وقّــــفــــتْ
ومــــقــــيــــمــــة ومــــســــافــــرة

دارت مع الأفلاك فانقضت

عليها قاهرة

دارت فلمّا أن طغت

دارت عليها دائرة

قد آمنت لكنما

للحرب نفس كافرة ! ..

الضرير ...

سجنوا عليك الكون أم سجنوكا ؟ ..
لو أنصفوا فى ظلمهم قتلوكا
تخذوا عذابك أو نعيمك شهوة
وتقاسموك كأنهم خلقوكا
لم يرحموك على عماك كأنهم
حسبوا العذاب على العمى يهنيكا
نم يا ضرير ، ففى عماك سعادة
ألاّ ترى عيناك من ظلموكا
ألاّ ترى أثر الطغاة وجورهم
عرضاً ذبيحاً ، أو دماً مسفوكا
ألا ترى الدنيا شخوص رواية
ضلّت وضلوا شرعة وسلوكا
صادوك فاتخذوك لعبة ملجأ
كم عذبوك به وكم ضربوكا
يا شيخ أضناك المشيب أو العمى
فلجأت حراً لم تكن صعلوكا

* * *

فى الغرب كل اللاجئين تخالهم
بين النعيم المستقرّ ملوكا

وهـمــو بمصــر مـــعـــذبون أذلـة
مـلـكـوا عـلـى الرق المـهـين صـكـوكــا
يحــيــون فى ظـل الإســار وضـيــقــه
بأشــد مـن عــيش الـسـجـون حلوكــا
ثـاروا وثـاروا والحـكـومــة لـم تـزد
إلا ظـنـونـاً حــولهـم وشـكـوكــا
وهمو كـبـاقى الشـعـب فى بأسـائه
ظلّ الحنو بـه غــدا مــتـروكــا
رَغــبـوا الـسـجـون من الملاجئ إذ رأوا
فــيـهـا الخـلاص من الإسـار وشـيـكا

إذا جبن الشباب ! ..

((قال الشاعر هذه القصيدة الغاضبة سنة ١٩٤٠ حينما رأى تخاذل الشباب عن الدفاع عن مصر أثناء اشتعال نار الحرب العالمية الثانية))

أقلني لا هززتك يارباب
فما سمع الصِّحاب ولا استجابوا
شجاهم فى الحمى منّى هتوفٌ
فقال القوم قد نعب الغراب
سما هزجى على نفخات صور
يعود إلى الحياة بها التراب
فما لمواطنىّ تملكتهم
على الألحان أسماع كذاب
أهبتُ بهم إلى بعث فماتوا
كأن ديارهم منهم خراب
ومن للدار يحميها إذا ما
لوى عنها الشيوخ أو الشباب
إذا جبن الشباب عن المنايا
تخوض غمارها الخُود الكعاب

* * *

نعام فى الوغى يا آل مصر
وفى غير الوغى ظُفر وناب

أبيْن عجاجها نبلى بُخْلف
يؤججه انقلاب وانتخابَ
تناسوا كل حرب غير حرب
على الأبواب مافيها ارتياب

* * *

إذا بتم لمذكيها نعاجا
فكل جنوده فيها ذئاب
وإن عاجلتموها أسْدَ غاب
فللأسْد الغنيمة والغلابَ
تعالى مجدُ مصر أن يُردَّى
بشرذمة أخافوا واستَرابوا
دعاة هزيمة أشياع جبن
ومن آرائهم خُلق السراب
وما يبغون حربا أو سلاماً
ولكن كل همهمو اكتساب
إلى الهيجاء إنّ بها حياة
ومجداً لا يزول ولا يُشاب

التضحية !..

((نظمت هذه القصيدة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٠)) أثناء الحرب العالمية الثانية.

يا يوم عيد المنية
فى حومة الميدان
أنا الفدا والضحية
للشعب والأوطان

* * *

دمى وروحى وديعة
وكل حى فان
أنا إمام الطليعة
إذ يلتقى الجيشان

* * *

إن متّ قربان قومى
بلغتُ كلَّ مُنايا
ولن يؤخّر يومى
خوضى غمار المنايا

* * *

عن الجدود القدامى
ورثت حُبَّ القتال
إذا شرعت الحساما

دكـكـت شُمّ الجـــبـــال

* * *

التــضـــحـــيـــاتُ يقـــينى
وعـــصـــمـــتى وجـــلالى
بـهـــا تــألَّـق ديـنـى
بـين الـقــنـا والـنّـصــال

* * *

أنـا الـعــــلا والفـــتـــوّه
أنــا الـوغـى والـكـفــاح
خلـقـت عـــزمـــا وقـــوه
أرى بمــاضـى الـسّــلاح

* * *

نـســيـتُ فى الحـــرب نفـــسى
لمـــا ذكـــرتُ الـوطـنْ
لـه شـــبـــابى وبـأسـى
لـه حـــيـــاتى ثـمـنْ! ..

* * *

خـلــوا جـــراحى بـجـنـبى
لاَ تـعْـــجَـلُـوا بـالـشــفـــاء
حـــتـــى ألاقـى ربـى
فـى حـلـة مـن دمـــاء !..

إلى إخوانى التاعسين

من رقص مذبوح وأنّ كظيم
إحياء مقبور وبعث رميم
لا أهلنا تركوا وما ترَك البلى
بديارنا السوداء غير رسوم
ونجوع أو نظما فلا نجد النّدى
إلاّ كؤوسا أترعت بهموم
خطبان فى الدنيا يؤود ... كلاهما
طرق المنون وحُرقة المكلوم
وإذا شكونا للحكومة لانرى
إلا السّجون نهاية المظلوم
والشعب ينكرنا كأنّا لعنةٌ
أو آفة تجتاح كلّ سليم
فذبولنا ودموعنا .. وسقامنا
تزوير أفّاك ... وكذب ملوم
أنا لا أحابى بل أقرر واقعاً
نزّهتُ شعرى عن رياء ذميم

بؤس الفلاح ...

كلُّ الحياة بهذه الفأس
مِن أخمص الدنيا إلى الرأس
حَسْب ابن بجدتها وحاملها
بين البريّة عِزّةُ النّفس
بينِ المروج عروسَها تُجلى
وتُزفُّ من عُرسٍ إلى عرس
كمِ أنبتت فى قَاحل ذهباً
وجرْت على الأزهار كالكأس
هى فرحة ، إلا إذا حُملتْ
لتشُقّ رأس الميْت بالرمس
فى يومها غَرْسُ وفى غدها
جَنْى لما أجرته فى أمس
وتُرى على كتف مجرحةٍ
كالتاج مُلتمعاً على الرأس

صوت الفقير...

فى الحرب المقبلة ...

حـــــربى لأجلك يا بلادى فــــــاسلمى
أفـــــــديك يـا وطنـى بـروحى أو دمـى
أأخــــــاف مـن هـول الحــــــروب ونـارهـا
وطوال عـــــمـــــرى بين نـار ... جـــــهنّم
فى كلِّ يوم لى حــــروب مـــعـــيـــشـــة
عـــيش الكفـــاف بهـــا نهـــاية مـــغنمىً
والجــــوع أيســــر مـــا تـعـــانى أسـرتى
وكـــــأننا من غــــيـــــر بطن أو فم
هزلت جـــسوم بنيـتى وشـقـيـقـهـا
وحـلـيلـتـى وأنـا ، فـلـم نـتـــــألم
فلقــــد مَـــرنَّا فى الحــيـــاة على الأسى
ســـيـــان كنا فى هَنَـا أو مــــأتم ...
كـم مـــرة قـــررتُ قـــتـلة أســـرتى
وأداً فـــأرجـــعنى يـقين المسلم ...
أطـوى النهـــار رهين فـــأسى جـاهـداً
وأعـــــود ... يـا ويلاه ... عـــــود المرغم
فلمـن تُرى نصـــبى يعـــود ثمــــاره؟ ..

(*) نظمها عام ١٩٣٨ ومصر على أبواب الحرب العالمية الثانية

هى للغنىِّ مُعذبى .. ومحطمى
أشكو إليه خصاصتى وكأننى
أشكو إلي كلف بكيدى .. مغرم ..
يختال ثم يجيبنى من معطس
نشوان ، إن حطّمته لم أظلمَ
والباخل الميسورُ فى مصرٍ يرى
أن الغنى يوفيه إن لم يرحم
«ما البلشفية» ، مذهبى فأناله
بمساءة حتى أفوز بأنعم
لكنّنى أبغى الحياة كمثله
وأنا وإياه .. نمتُّ لآدم
ما كان من ذهبٍ ولا من فضّة
بل كان من لحمٍ يُقام بأعظمَ
أمحرمٌ أكلِي ولِبسى فضلة ..
فإن استبدّ به فغير مُحرّم
هيّا إلى الحرب الضروس فإنها
هى وحدها القاضى بقتل المجرم
والحرب كالطوفان يطهر بعدها
وجه البسيطة من هوى أو مأثم ..!

صيف القاهره ...

أثارُ الجحيم ، أم القاهرة ؟ ..
ودنياى تلك أم الآخرة ؟ ..
لقد أحرق الليل جمر النهّار
فما ينقضى القيظ والهاجرة
وصار النسيم كلفح الهْجير
وأنفاس محتضر خائرة
وطول الطريق كطول الصِّراط
تَؤُود فظاعته عابرة
ومن يلتمس ما بها من ظلال
فقد باء بالصفقة الخاسرة
فليست ظلالا ولكنها
مثارٌ لنقع من الحافرة
كأنّ بأرجائها فُجّرت
براكينُ غاضبةٌ ثائرة

* * *

ودارُ المعزّ مصيف الفقير
ينابيعه بينها غائرة
فصنعته لاتفيد الكفاف

وسلعته مرّة بائرة
تعدّ الطبيعة أحكامها
على عيشة أبدا جائرة
وكل امرئٍ عنه لاه حزين
من القيظ أعطافه نافرة

* * *

ومن للفقير وعيش الفقير
يَرى بين أمّته ناصره
دعوني أحدثكمو عن أساهُ
وعن نفسه الحرة الصابرة
فبينا دنَتْ للغنيّ الحياة
بمصطافه حلوة باهرة
يعلّ وينهل من وِرْدها
ويَجْني بها المتع الفاجرة
يعود إليه ربيع الشّباب
وتبدو بشاشته ناضرة
إذا بين مصطافنا معركٌ
تصول به النُّوبُ السّافرة
فيومٌ سقامٌ ويومٌ صيامٌ
ويومٌ جهلنا به آخره
وما ندرك الفرق بين الفصول
فأيامنا كلّها كافرة! ..

أنا .. ورمضان !..

آه لـو يـجـــــدي بكائى ونحـــــيـــــبى
لألانـتْ أدمـــــعى صـــــخـــــر القـلـوب
إن يكن ذا الـصـــوم جـــوعـــا فـــخطوبى
جـــعلت عـــمـــرى جـــمـــيـــعـا رمـــضـــان
صـــــــائم طـــول الحـــــــيــــــــاة
زادهُ تـــقـــــــــــــــوى الإلـــــه
صـــــــابر ، مـــــــا قـــــــال آه
أيـهـــــا الـنـاس ارحـــــمـــــــوه

* * *

ذلـــك الـــود بـــنـــىّ وبـــنـــاتـــى
يتّـــمـــوا من فـــقـــر عـــيشٍ فى حـــيـــاتى
وهـمُ صـــــــومى لـرّبى وصَـــــــلاتى
لـــم يـــرْوا مـــن قـــــــادرِ أىّ حـــنـــان
حـكـمـــــــة الـصـــــوم شـــعـــــور الألـمّ
فـــاذكـــرونا واذكـــروا كـــيـــد الزّمـــان
صـــــــائم طـــول الحـــــــيــــــــاة
زاده تـــقـــــــــــــــوى الالـــــه
صـــــــابر مـــــــا قـــــــال آه

أيهـــــا النـاس ارحـــــمـــــوه

* * *

هــاهــو المغــــــــرب وافــى ، أيــن زادى؟
وعــــيـــــالى فى ارتقـــاب لمعــــادى
لـيس غــــيـــــر الدّمع زادي وعــتــــادى
مــــــوقفٌ أقـــــتـلُ من وقـع الـسِّنان

* * *

أشــعـــروا البـــائس شــــهـــراً بالسُّـــرور
فــــالذى يهـــــدأ بالجـــــوع يثـــــور
إنّ لـلأيّام أفـــــــــلاكـــــــاً تــدور
كـم مُــعين ذاق بؤســـاً فـاســتـعـان
صـــــائم طـول الحـــــيـــــاة
زاده تـــقــــــــــــوى الإلـــه
صـــــــابر مـــــــاقــــــال آه
أيهـــــا الـنـاس ارحـــــمـــــوه

* * *

لا تـروضــــــونـا عـلـى ذلّ الــســــؤال
لـيس يمحـــــو عـــــزّتـى رقّـــة حــــالى
أنـا إن قـلَّ عـلــى الأيّـام مــــــــالى
لـــيــس لـــلــدهــــر بــإذلالــى يـدان
لـم يرعـنى بين حــــرب أو ســــلام
غـــيـــر بخل النّاس فى شـــهــر الـصّـــيـام

يفطر العاجز عن نيل الطّعام
وهو ينعى فطره فى رمضان
صائم طول الحياه
زاده تقوى الإله
صابر ما قال آه
أيها الناس ارحموه

البائس في رمضان !..

صـــــــائم طول الحـــــــــيـــــــــاه(*)
زاده تـــقــــــــــــــــــــــــــوى الالـــــه
مـــــــالـــه فى الـنـاس جـــــــاه
صـــــــابر مـــــا قــــــال آه
أيـهـــــــا الـنـاس ارحـــــــمـــــوه

* * *

والـذى أرسـلـكـم خـــــيــــــــر الأمم
جـــعـل الصـــوم كـــفـــيــــلا بـالكـرم
حـــيـــثـمـــا جـــعـتـم تُحـسّــــون الألم
إن لـلـمــــــــحــــــروم فى المال قـــسـم
أيـهـــــــا الـنـاس ارحـــــــمـــــوه

* * *

أشـــعــــــروا البـــائس يـومـــــا بـالســـرور
تحـــــــمــــــــدوا بـين الـورى طول الـدهـور
إن لـلأرزاق أفـــــــــلاكـــــــــا تـدور
والـذى يـهـــــدأ أحـــــيـــــانا يـثـــور
أيـهـــــــا الـنـاس ارحـــــــمـــــوه

* * *

(*) كرر الشاعر هنا المطلع نفسه الذى جاء بقصيدته «أنا ورمضان»

للمساكين افتحوا غُلف القلوب
واذكروهم فى شروق وغروب
إن فيهم جيشكم وقت الحروب
احفظوا المسكين من عادى الخطوب
أيها الناس ارحموه

* * *

ابعثوا الصحراء تخضرّ رباها
فجّروا الصمّاء شهداً أو مياها
بلّغوا الأوطان فى الدنيا مناها
إن للمسكين فى مصر أساها
أيها الناس ارحموه

* * *

بيته هذا العراءْ
ثوبه بال هباء
بين صيفٍ وشتاءْ
لم يصب إلا الشقاء
أيها الناس ارحموه

* * *

عاش منبوذا طريدا
يشرب البلوى وحيدا
فليعش فيكم سعيدا
أو يمت حرا شهيدا
أيها الناس ارحموه

صوت الفقير ...

فى تحية رمضان ...

أحييك أم أبكى لطول شقائى؟ ..
وأطريك أم أضفى عليك هجائى؟ ..
أيا رمضان الموسرين وعيدهم
وموسم أفراح لهم وهناء
يجوعون إذ يبغون بالجوع صحة
ويبغون بالإمساك كل شفاء
وما ذكروا جوع الفقير وعسره
ولا استشعروا بالصّوم أى سخاء
وما أمسكوا عن شهوة غير بطنهم
فما عرفوا للدّين ... أىّ وفاء ؟ ..
وآليت لم تمرزْ بنا .. غير باخل
نذوق على أيديك شرّ بلاءٍ
وإن كان صوم النّاس جوعا فإنّنا
صيامٌ (*) ، كما تهوى ، صباح مساء
ونلقى مرىء الفطر صبحا مصادفا
ومُرّ الطوى فى مغرب وعشاء

(*) كذا فى الأصل .

يؤذّن بالإفطار للنّاس مغربا
ونحن حيارى لم نفز بذماء

* * *

إلى أمم الإسلام أزجى قصيدتى
وماهى إلا منيتى .. ورجائى
لقد وجد الإسلام فى الأرضٍ رحمةً
وأهلوه عاشوا قادة الرّحماء
وفى الصوم تذكير المياسير بالطّوى
ليسخوا بفضل المال للفقراء
ولا يعلنون البذل شأن سواهم
فإعلانه للناس لؤم رياء

في المطار...

((زار الشاعر عبد الحميد الديب مطار ألماظة عام ١٩٣٨ فكتب هذه القصيدة الطريفة يصف فيها الطائرات والمطار وصفا لطيفا فكها)) .

غـــــاد يصـــــفّق بالنّســـــيم ورائحُ ..
أهي الطّيـــــور ســـــوانحٌ وبوارحُ
تحـــيـــا حـــيـــاة .. لا منّيـــة بعـــدها ..
كـم مـــــات عنهـــا صـــائدٌ أو ذابـح
تنســـاب في الأفق الملبّـــد مـــثلمـــا
تنســـاب رقْطٌ في الرغـــامِ لوافحُ
ولدى الأصـــيل زوارق من فـــضّـــة
ومـــحـــيطهـــا ذهبٌ جليٌّ واضحُ
جـــيـــاشـــةٌ في طيـــرها وهبـــوطهـــا
فلهـــا فـــؤادٌ عـــاشقٌ وجـــوانِحُ
إن يدْنُ منهـــا النَّسْـــر عـــاجله الردى
لم ينجـــه أظفـــوره المتـــواقح ..
طيـــرٌ بلا ريش ترى وحـــواصلٍ
لا نائحٌ في ســـربهـــا أو صـــادحُ
هي مـــعـــجـــزاتٌ أين بُعـــدُ نبـــيـــهـــا؟
بل أين «مـــوســـاها» القـــويّ و«صـــالحُ»؟

* * *

((ألماظة)) وكـر لـهـا فى خـفـضـة
هـو للجـبـال ولـلـسـمـاء الـنـاطـحُ
الطـائـرات بهـا المنايا جُـمّـعـتْ
ضـاق الـغـزاة بـهـا وعـىّ الـفـاتـحُ
للأرض منهـا مـسـتـقـرٌّ بـيـنـمـا
هى للسـمـاء مـعـارجٌ ومـفـاتـح
فلـو انّ فـرعـونـاً رآهـا مـادعـا
((هـامـان)) يبنى صـرحـه فـيطارحُ
ربّانهـا للجـو قـهّـار ... ومـا
يزهى بـه كِـبْـرا .. ولا يتـبـاجـحُ
من عـاش فى هـذا الوجـود ولـم يطر
فـحـيـاتـه خـورٌ وخـوفٌ فـاضـح
فـالجـيـل .. طيـارٌ .. وغـواصٌ .. ومنْ
يطلبْ سـوى هـذا فـعـمـرٌ نـازحُ
ومـن اسـتـقـلّ الطـائرات يـجـد بهـا
عـزمـا لـه فى الـسّـعْى خطوٌ نـاجـحُ
ذكـرى ابن فـرنـاس تـعـيـد لـقـومـه
حـدبا عـلـى الطيـران لايتـسـانـح

زيارة الهرم ...

((كتب شاعر البؤس هذه القصيدة فى أيامه الأخيرة))

طلعتُ مع الشَّمس عند الهرمْ
يرفّ علىّ أريج النّسيم
وتنفحني الوْرق حلوَ النّغَمْ
أحيّى ملوك العلا والخلود

* * *

صعدتُ هبطتُ بهذا البناء
كأنّي أجوب بروَج السّماءْ
دلفتُ إلىِ جوفه المستضاء
كأنّىَ أجلو غموض القضاء
أحييٍ ملوك العلا والخلود

* * *

هنا دولةٌ وهنا صوْلجانْ
هنا عرشُ فرعون بانى الزّمانْ
وموكبه الفخم والمهرجانْ
هنا المْلك فى أمّة لاتُدانْ
أحيى ملوك العلا وَالخلود

* * *

أرى كــــاهنـاً فى خـــشـــوع الـصَّـــلاة
أرى مــلــكــا طــائـراً فــى عُـــــــــــلاه
وقـــائـد مـــصـــر يُـذلّ الـغـــزاة
يـخّـــرقـــهم قـــادراً فى لـظـاه
أحــــيى مـلـوك الـعــــلا والخـلـود

* * *

«نـفـــرتـيـت» والخـــرّد الـغـــانـيـــات
يـطـفَـنْ بـهــا فى هوى الـعـــاشـــقــــات
ويـرقــصْـنَ فى خـــفَـــر شـــاديـاتْ
وبـاسْـم مـلـيك الـعـــلا هـاتـفّـــات
أحـــيّى مـلـوك الـعـــلا والخـلـود

الفلاح البائس

((كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٨ في عنفوان الفساد السياسي الذي كان سائدا في تلك الحقبة بمناسبة شكوى النواب إلى وزير المالية وقتئذ لجوع الفلاح وبؤسه .. فكانت هذه الخواطر التي تفيض أسى وسخطا)) .

علـى أطـلالهـــــا سكبـــــوا ونـاحــــوا
وبعـــــد خـــرابهـــا لطمـــوا وصـــاحـــوا
وكـــــانت في الـغـنى جنات «عـــدْن»
بـهـــا للخـــيـــر أنهــــارٌ وســـاحُ
فـــأصـــبحِ دوحـــهـــا أوكـــار بـومٍ
وبـات أجـــاجـــهـــا مـــاءٌ قـــراحِ
أذلَّ الـريّفَ جـــوعٌ وابتـــئـــاسٍ
كـــأنّ هلاكـــه قـــدرٌ مُـــبـــاحٍ
وكـــــان الـريّف دور غـنـى وعـــــز
وأهـل الـريّف أمـــجـــاد ســـمـــاح
علـى الـنواب كـــان مـــلام مـــصـــر
فـــهـم لـشـــقـــاء أمـــتـــهـمْ أبـاحـــوا
ألـم تخـــتــرهُم ســـفـــراءَ عـنهـــا ...
ألـم يشـــمـلهـم مُنهـــا جـنـاحُ
قـــد اســـتـجـدوا نـيـابتـــهـــا فـلـمّـــا
أجـــابت ، صـــوتـهُم عـنهـــا أشـــاحـــوا

ولـو رحـــمــوا كـــرامـــتــهـــا وخلّوا
كـــراســـيـــهم أراحــوا واســـتـــراحـــوا
أتـرضـــيـــهم مـــجـــاعــتنا وفـــينا
لـكـل الأرض رفــــد وامـــتـــيـــاح
مـــعـــاذ النيل أن نـغـــدو خـــمـــاصـــا
وقـــد أكـل البـــوادى واســـتـــراحـــوا

* * *

إذا الـنــواب والحـكـــام جـــــــــادوا
بـربع مـــرتّبـــاتهـــمـــو أراحـــوا
ولـم يشْـك الطـوى أحــــد بمصـــرٍ
ولـم تظـهــر بعــيــشـــتـنا جـراحُ
شكـوتم لـلـوزير شـــقـــاء قـــومٍ
لـهم فِى اليـــســر مــغـــدًى أومــراحُ
لـئن قُـتلوا ضـحـــايا الجـــوع يومـــاً
فـــمن تفـــريطكم كـــان السّـلاحُ
عـلى الأخـــلاق فى مـــصـــر عـــفـــاءٌ
فـــمـــا لظـلامـــهـــا أبـداً صـــبـــاحُ
إذا لـم تـصـلـحِ الحـكّـام فـــيـــنـا
فـــمـــا يرجى لـنـا أبداً صـــلاحُ ! .....

ساعة فى الأوقاف ...

((زار الديب وزارة الأوقاف عام ١٩٤٠ فكتب هذه القصيدة يصف ما رآه من مناظر وغرائب))

رفـــاتٌ عـــشـــشْت فـــيــه الطّيـــورُ
بـهـــــا ولغ المـوظـف والكـبِـــيـــــر
فـــتـــات مـــوائد وغـــشـــاء مـــال
وأكـــــلاء بـهـــا بَقـــرٌ يـخـــــورّ
هـبطـتُ بـهــــا لأضـــحك بـعـض يـومـى
فـــأبكـانى المبـــشّــر والنّذيـر
رأيتُ شـــبــابهـــا أقـــوى وهـدّتْ
فـــتّـــوته الأصــــائلُ والبـكـور
ومـــشـــيـــخـــة يدّب المـوت فـــيـهـــا
من الأوقـــاف ضـــمّـــتـهـــا قـــصـــور
فـكـم من مكـتـب قـــبـــعـتْ علـيــه
مـن الأشـــيـــاخ عـــمـــيـــانٌ وعُـــور
فـــهـــذا ظـهـــزه قـــوسٌ ينـادى
أصـمٌ ، وصـوتـه أبـدا جـــهـــيـــر
وثـــانِ لا يُـردّ لـه قـــــــــرارٌ
وفـــى أثـــوابــه رجـــلٌ طـــريـــر

إلى الإنجليز...

سجنتمْ بلاد النّيل لم نلْقَ مُنجدا
يقيها من البأساء واليوم تطلقُ
ونحن بنى فرعون للحرب أمّةٌ
إذا ما دعا داعٍ إليها تصفّق
إذا دُولٌ طارتْ إليها سريعةً
فأضعفنا منها أشدُّ وأسْبَقُ
ونحن محيطٌ والخلائق فُلكه
فمن ضلّ منها شاطئ الحقّ يغرقُ
جنود من الفولاذ أقوى صلابةً
إذا أطبقوا بالخصم فالموت مطبقُ
لئن خلتمو عمق السياسة نافعا
فإنّ قوى الإيمان بالحرب أعمقُ
وإن نلتمو بالكتب عهدا وموثقا
فإن عهودَ السّيف أوفى وأصدقُ
دعوا السّلم أنتم قاتلوه وإنّما
ضعفتم فقلتمْ نحن للسلم نعشقُ

إلى قوات الاحتلال الإنجليزى

كما شئتم فما نخشى انتقاما
خلقنا للأسى صُبُراً كراما
نفَى عنّا المخاوف أنّ فينا
عزائم تصرع الموت الزؤاما
ولو مات امرؤ منّا شهيدا
لصارعكم رفاتا أو عظاما
وما نرجو نعيمكمو سلاما
وما نخشى جحيمكمو خصاما
وأيقاظاً تراهم فى كفاح
وتلقى غيرهم أبداً نياماً
أناسٌ هم ملائكة وجنٌّ
بنوا فوق السِّماك لهم مقاما
قبيلٌ أحمر الوثبات قاس
على الظُّلاّم يصرعهم ظلاماً
إذا لم تحسُ كأسهمو نفوسٌ
سقوها بعد ذلّتها الحماما
وكم مستهتر آوى إليهم
فما زالوا به حتّى استقاما

(*) كتب الشاعر هذه القصيدة التى تفيض ثورة وسخطا عام ١٩٣٨ .

نُقلّم ضابطا منّا كيادا
وكل بلادنا كرمت مقاما
فإن حُبس الغضنفر فى محيل
يجيع الناس لم يعدم طعاماً
نقلتمْ .. أو فصلتمْ .. أو قتلتمْ
فما نرجو العدالة فى القدامى
إذا حاق اضطهادكمُ أنفْنا
ولم نسألكمو أبدا إلاماَ ؟ ..
يمّر بنا العذاب ليوم نصر
تبلغنا به الدنيا المراما
تَنافسْنا ثباتاً واحتمالاً
فأدركنا المنى عاما فعاما
وها هو يومنا وافى وولّتْ
عهود الظلم وانقشعت غماما

قتلتم الناس جوعا ...

يا خـــائفى الحــرب ، مـــاذا تحـــذرون بـهـــا
وأنـتـم دون هـول الحــــــرب أمـــــــوات
قـــتلتم النّاس جـــوعـــاً من تـهـــالككم
على الثّــراء ، فـــلاعـــشـــتم ولا مـــاتـوا
أنتم عـــبـــيـــد الـغنى والحـــرب كـــافلة
أن يـعـــمـــر الأرض قـــوّامـــون ســـادات
كـم ذا أكلـتم على حـــرمـــاننا ذهـبـــاً
والـيـــوم تـعـــوزكـم فى الحـــرب أقـــوات
لـولا الأشـــحّـــة فى الـدّنيـــا لما رويت
بـهـــا الظُّبى وغـــدا للســـيف إصـلات
قـــالـوا ســـلامٌ فـــقـلنا ضلّ رأيـكم
الأرض فـــيـــهـــا ثـعـــابـينٌ وحـــيّـــات
أعـــاد طوفـــان نوح طـهـــرها غـــرقـــا
والـيـــوم طـوفـــانـهـــا نـارٌ وغـــارات
إن كـــان للبـــعـث أشـــراطٌ مـــقـــدّرةٌ
فـــمـــالـهـــا فى هـدوء الـسّلم مـــيـــقـــات
هى الـقـــيـــامـــة من يـحـــيـــا بـصـــرعـــتـهـــا
تمـت بـه الأرض سـكّـانٌ وأبـيـــــــــات

الجهاد ...

اليوم يقوى فى الحياة أساسى
ويطيب من فيض المدامع كاسى
لا أرغب الدنيا ولا أخشى الردَّى
وتعيش يا وطنى العزيز وناسى
والموت حتم فلأمت مستشهدا
وأقابل الإعدام .. بالإيناسِ
ماذا وراء العمر إذ أحيا بهَ
هملاً بغير قضيّة وقياس
أملى وراء الشمس إن وهنتْ به
نفسي فما فى ميتتى من باسِ
ردوا على قصائدى ومواهبى
إن لم يزلزلْ أرضَ مصر حماسى
إن لم أكن فوق «المهلهل» عزمة(*)
وثابةً تقضى على «جساس»
فى هدأة البركان خَوفُ زلازل ..
كالبعث توقظ ساكن الأرماس

(*) إشارة إلى حكاية المهلهل وجساس من الأقاصيص الشعبية .

فضائح التموين ...

فى غـــــــــابة الـوحـش ثـارتْ
عـــــواصفٌ مـن جـــــــهنّمْ
الأرضِ منهــا اســـتـجـــارتْ
والصّـــخــر منهــا تـكلّمْ
ومـــاشــدا الطيــر فــيــهــا
إلا الـــنّعــــــيب المـنُـغّـم
قــــال الـوحــــوش «الـذئـب»
مُـــرِّ الـعــــواء : تـقـــدّمْ
فـــالحـــاكم الـيـــوم ليْثٌ
وصــــاحب الـلّـيـث «مكرمْ»
كم قـــبْـل حكـمكَ شـــمْـنـا
فـــيك المسـيح بَـن مـريم
يـا مُـســتـغــاث جـيــاعٍ
أكلتَ شـعـــبك فـــارحـم

إلى الحرب ...

هاتي السّلاح فإنّ الحرب بالباب
وحطّمي كل أقداحي وأكوابي
ردِّي عليّ من الأشعار ما فرغت
من الظبي والوغى والظّفر والنّاب

* * *

يا حاكمين بمصر يوم محنتها
ماذا ادّخرتم لها في حظّها الكابي ؟
كنانة الله لكن لا سهام بها
ياويلها من أذى أهل وأحباب
لو ادّخرتم كراماً بعض مالكمو
لقوّة الجيش أمسى جدّاً غلاّب
أئن دعا الحرب كنتمْ كالنعام به
وهمّكم في جَنَى غنْم وأسلاب ؟
وفي السّلام رؤوس تحكمون بنا
وفي الحروب نراكم محْضّ أذناب
قد خنتمو الشعب في أيام حكمكمُ
فلا يرى الخصم منه أيّ إرهاب
كم شدتمُ معهداً للعلم بل هرماً

هلاَّ بنيتم لحربٍ شبه «كُتَّاب» ؟ ..

* * *

دقت طبول الوغى والجند قد شخصتْ
إلى المنايا أسودا غير هُيَّابِ
والجوّ سُدّ بسحْبٍ من مثارهم
في منظر من لباس الحَرب خلاّب
كلٌّ تعاوده الذكرى فيصرعها
وليس فى نصره يوما بمرتاب
وفى الملاحم قدِّرْ كلّ مفزعة
فما يفيدك تهويلى وإطنابى ؟
ونحن لاهون فى حفْل وفى طَرب
وفى مفاخر أحساب وألقابَ
نحن الضّحايا لرجعيين مالهم
فى عزّة العيش من حظٍّ وآدابِ
تذبذبوا فى الأمانى ماترى بهمَ
مهما ادّعوا واستطالوا غير كذّاب

فلسطين الدماء ...

أقــتلتــهم بالحـــسن أم قــتلوك ؟
الشّـــمس أمّـكِ والـهـــلالُ أبـوكَ
دار الـنّبــوة والـعــروبة والـهــدىَ
خـــفــروا ذمـــامك بالـدم المســفــوك
جـــهلوا علـيك ومــادروك فـــأمـــعنوا
فى قـــتل قـــومك .. ليــتــهم رحــمــوك

* * *

تيـــهى «فلسطين الـدمـــاء» على الـورى
إن المـــلائــك والمـــلــوك بـــنــوك
فلربَّ ظبىٍ من بنيك مُـــهــفـــهف
بجــمـــاله وحـــســـامه يـفـــديك
نـامت عـــيــون الـنّاس إلا عــــينه
حـــتى يصـيـب الـثــأر من رامـيك
ولِربَّ شـيخٍ من بـنـيك مـــحطّم
بهــر الـوجــود صِـبـاً .. لكى يحـميكَ

(*) قيلت أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين عام ١٩٤٠ .

خلّوا الكتابة للمدافع والظبى؟!

حيٍّ الربيع غضارة وعبيرا
واخبُ الشّباب توثّباً ونضيرا
واختــرْ لدى سكنى البناء جديده
إنّ القديم به غدا مدحورا
والناس والأيّام ليست دولةً
بل تستحيل تداولا وعصورا
كن أنت إسرافيل دون قيامة
واجعل من الهرم المخلَّد صوراً
واهتف بشعبك أن يثور مجاهدا
مازال خطب الغاصبين خطيرا
القيد ضوعف وزنه وإساره
والسّجن أصبح للبلاد سعيرا
لا يزدهيك من القصور رواؤها
فالذلّ صيرها بمصر قبورا
من هؤلاء الغاصبين وصحبهم
جاهد ليُمحَوْا أو تموت فخورا
والشّعب مُصْغٍ إن صرخت إلى الوغى
لبّى النداء غضافرا وصقورا
خلّوا الكتابة للمدافع والظّبى

فلقد كتبتمْ باليراع كثيرا
لاتبدعوا سحر المعاول حقبة
معشار إبداع الحروب دهورا

* * *

أنا شاعر منا كنت فيكمْ شاعراً
إن لم أكن أسدا بمصر هصورا
خلّوا المفاخر للرّجولة وحدها
تُحيى الرجولة مبدأ ونصيرا
إنّا لنرقب للكنانة دولةً
ملء البسيطة قوةً وظهورا
يبنى الشباب جلالها وجمالها
ويزود عنها غدوة وبكورا

تعست أماني الحكم !..

((كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٨ ساخطا فيها على سوء الحكم والفساد السياسى الذى كان مسيطرا على مصر فى تلك الحقبة))

لا ضاربٌ منكم ولا مضروبُ
أنتمْ جميعا معشرٌ مغلوبُ
وإذا العصىّ غدت سلاح حكومة
فمن الأعابد شعبها المنكوبّ
كل الشعوب سلاحها من معدن
وسلاح مصر حجارة أو طوب
والشاء إن زكت العداوة بينها
عوت الثّعالب فرحة «والذِّيب»
يا خائبين تذّكروا آلامكم
إن العدوّ من البلاد قريب
تعست أماني الحكم فهى مذلّة
ومطامعٌ منها الإله غضوب
مستوزرون ومابكمٍ من صالحٍ
لبلاده بل ماكرٌ ومريبٌ
والحكم إن يقصد به أخلاقه
فسناؤه فجر بمصر كذوب
خلُّوا الحكومة واكسبوا أرزاقكم

من غيرها ، ومن المآثم توبوا
أبكل يوم معركٌ وتظاهرٌ
والخصم يرسل سهمه فيصيب

* * *

لستم لنا الأكفاء أنتم عصبةٌ
ما فى جهادكُم لمصر نصيب
حتما سيأخذكمْ على أعناقكم
يومٌ بأخذ الظّالمين رهيب
يوم الشّباب الطامحين وإنه
كغد لمن يرجو سناه قريب

وطنى لوجهك هجرتى ومحبتى ...

اليـــوم تســـمـــعنا الســـمـــاء لأنّه
نـــطـــقٌ بـــلا كـــلـــم ولا أصـــــــــوات
هـــذا أوان دم يـــراق وفَـــــــــرحــــــــةٍ
تولـى الشـــهـــيـــد مـــضـــاعـف الرّحــــمـــات
تتـــكـلّـم الأرواح بـــين مـــــــعـــــــــامـع
عــــــقـــــدتْ بـأشـــــرف أنـفس وذوات ..
الموت عـنـدهـمُ حـــيـــــــاةٌ بينَمـــــا
تـلك الحـــيـــاة مـــبـــاءة الأمـــــوات
لـم يُجْـــــدنا عـــهـــد الـكلام وإن غـــدا
شـــدْوا يفـــيض بـســـاحــــر النغـــمـــات
فـــــتكـلّمـــوا نغم النّـضـــال مـــجلّـلا
بـدم الضـــحـــايا صـــادقـى العـــزمـــات
لاتـســـمـــعـــوا إلاّ صـــراخ مـــقـــاتـل
ورنـين صـــمـــصـــام وقـــصـف قـناةٍ
ومـــجـــاهـد فى الـلـه يغـــشـــاه الـرّدى
فـــيـــصـــيّح يـاوطـنى إلـيك حـــيـــاتى
إن الـشّـــبـــاب إذا المشـــيـــب تقـــاعـــدوا
هـم عــــــدّة الأوطـان فـى الأزمـــــــات

* * *

وطني لوجهك هجرتي ومحبّتي
وإليك كل مواهبي وهباتي
أفدي رغامك بالحياة وبالمنى
حتى تعيش معزّز الجنبات
نحن الفداء لمصر تبقى حرةً
ونموت موت أعزة وأباة
اليوم رنّت في الكنانة صرخةٌ
للحق غطّتْ سابق الصرخات
اليوم إمَّا أن نعيش أعزَّةً
أو أن نموت أعزّة الأموات
هي ضجعةٌ روحي بها في جنة
ماذا يهمّ إذا فقدت حياتي؟!..

مالى وللحرب أصلاها وتصلانى ؟!

«قالها الشاعر فى غمرة الاتجاه الذى كان ينادى بأن الحرب العالمية الثانية ليس لمصر فيها ناقة ولا جمل»

لا "التشك" خصمى ولا "السّوديت" أعوانى
مالى وللحرب أصلاها وتصلانى ؟!
جُناتها التشْك والألمان فليقفوا
وجهًا لوجه وأقرانا لأقران
ميدانها واحدٌ والموقودون بها
يبغون أن تتعدى ألف ميدان
أعزز علينا إذا جد النفير لها
أن تقتضى من دمانا أى قربان

* * *

للإنجليز علينا ذمّةٌ عظمت
من أن تداس بتسويف ونسيان
لكنها عهد أكفاء سواسية
لا طاعة العبد فى ذلّ وخذلانَ
قالوا معاهدة قلنا لهم كَذبٌ
وإفك مضطرب فى الشّر خوّان
هذا هو القيد إلاّ أنّه ذهَبٌ
والسّجن بين ربى جنّات عدنان

لو قدرونا استشارونا بما اعتزموا
فى الحرب والسّلم عن حبٍ ووجدان
لكنهم أبرموا دون استشارتنا
بيْنا يرجّون منا كل إذعان
أكلّما ظهرت فى الكون نائبةٌ
يُصيبنا من لظاها حرقة الجانى
يجنى سوانا ونحن الغارمون له
هذا هو الرأى والعدل البريطانى

* * *

يا ساسة «المنش» خلّوها مساومةً
لاقهر ظلم ولا إذعان طغيان
أليس حقّاً لنا أن نقتضى ثمنا
عن حربنا جند ألمان وطليان
لن ندخل الحرب إلا بعد عهدكم
أن ترحلوا الدهر عن مصر وسودان ...

الحرب الحرب

((قيلت ونذر الحرب العالمية الثانية تلوح فى الأفق))

أيّها السّامرون فى الليل عودوا
شبت الحرب واستعد الجنودُ
أيّها اللاعبون يكفى ، سراعا
للوغى فوقكم ترفّ البنودُ
يا شباباً تضوّع الكون عطرا
من شذاه لأنتَ بعْدُ الشهيدُ
ذاك عرس التراب كم زُفّ فيه
من أناس عيونهمْ والقدودُ
فى غد ينتهى الوجود ويخفى
ويرى البعث دونه والوعيدُ

* * *

أيّها العاطشون للدم يجرى
دونكم فانهلوا وروّوا وزيدوا
ياعداة السّلام كم من أذاكم
أخفرت ذمّةٌ وديست عهود
كل من مات أنتمُ قاتلوه
أنتمُ النّار فى الوغىٰ والحديدُ
كل من فى الوجود هب من النوم

أخـــا خـــائفـــاً وأنتم رقـــودُ
ذلـك الحـــزن والمـآتم تـتـــري
كم لـكم دونهـــا هنـاءٌ وعــيــد

* * *

أيهـــا الحــاكـمـون فى النّاس مــهــلا
أنتم ســادةٌ ونحن العــبــيــد
إنّمـا الحــرب لـلشّـعـوب صــراطٌ
فـفناء مــصــيــرها أو خلـودُ ..

إلى الجهاد ...

إلى الجهـــاد واملئـــوا الدّنيـــا دمـــا
لا تتـــركـــوا أرضـــا بهـــا ولاســمـــا
لا عـــاش من يحـــيـــا ذليـــلا مـــرغـــمـــا
وفـــيكم الفـــداء يا أســـدَ الحـــمى

* * *

إلى السّـــجـــون أو نرى اســـتـــقـــلالا
فـــالسّـــجن للأحـــرار جنّات النّعـــيمْ
ونفـــذوا إن شـــئـــتـــمـــو إعـــدامنا
فـــعـــيش الاســـتـــعـــبـــاد فى نار الجـــحـــيمْ

* * *

خلوا الهـــدوء والهناءَ للضّـــعـــافْ
ولا تنـــامـــــــــوا إنّ فـى الموت منـامْ
براءة الأوطـــان من غـــــــرٍّ يخـــــاف
إلى الحـــروبَ ... لا تحنّوا للســـــلام

* * *

مـــا الخلد إلا للضـــحـــايا فى النضـــالْ
بناهُ رى من نفـــــوس ودمـــــاء
يا للشّـــبـــاب للصـــراع والقـــتـــالْ
فـــصـــرخـــة الأوطان تدعـــو للفـــداء

* * *

إلى الجهاد واستردوا ما اندثرْ
من مُلك فرعون العظيم القاهر
ولتجمعوا الشمس لمصرٍ والقمرْ
فى ليل مقدامٍ وصبحٍ ظافر

* * *

للدّهر طعنات وأنتمْ كفؤها
فعرّضوا لوقعها حرّ الصدور
وردّدوا إنّا لها ... إنّا لها
ولتحيَ مصر حرة طول الدّهور

الخونة ...

« تأثر الشاعر للصورة الذليلة التى كان يرتضيها بعض الجواسيس لأنفسهم فى سبيل رفاهية عيشهم إبان الاحتلال الانجليزى وراعه أن هذه الطائفة لا تتورع عن إهدار دماء الوطنيين وإزهاق أرواحهم فسجل هذه الخواطر الثائرة فى الأبيات التالية:»

بين اللآلئ أحجار لها شانُ
كأنما هى ياقوتٌ ومَرجانُ
وبين نجم الرّوابى ناضرٌ ألقٌ
لكنّه حسكٌ راو وسعدان
كدأبك الدّهر من قَوم أبالسة
ما فيهم لمجالى الخير إنسان
صلّوا وصاموا وهمْ فسّاق أمتّهمْ
وكلّهمْ ساقط الآمال خوّان
كم أهدروا من دم حرٍ وكم سجنوا
وكم أذلّ بهم قومٌ وأوطان
ثعالبٌ وذئابٌ فى حقيقتهمْ
وفى تنكرهمْ شاءٌ وحملان
حربٌ على الشّعب فى أيّام محنته
وهم لأعدائه جندٌ وأعوان
يندسّ واحدهمْ فى أىّ مجتمعٍ
كأنّه بينه للذلّ عنوانُ

تملقٌ ورياءٌ في مُصـانعَـة
يلين في كلّ لمس وهو ثعبانَ
الخائنون أذلّ العيشُ أنفسهمْ
لا كان عيشهمُ فينا ولا كانوا

أنا الشعب ...

عـــــــرفت الـيــــــوم أنَّـا قـــــــادرونا
وأنّـا الـصــــــابرون الـصـــــادقــــونا
فــــأين كـــــتـــــائب الأحـــزاب منّـا
وأين الحــــاقـــــدون المرجـــفــــونا ؟
يـقــــــــومّ واحــــــــدٌ منّـا بـألـف
فـــــقــــد ملك الإرادة والـيـــــقــــيناً
ومن يُطع الإلـه حـــــبـــــاه نـصـــــراً
وأعـلـى كـــــعــــبـــــه دنـيـــا ودينا
صـــبـــغنا الـدّهر مـــصـــريّاً فــصنّا
من الأحـــداث مـــجـــد الأقـــدمـــينا
وإن شـــئنا الـزّمـــان غــــدا ســـلامـــاً
وإن شـــئنا غــــدا حـــرباً زؤامــــا
ســـتـــبلغ مـــصــــر فى الدنيـــا مناها
مـــتى كنّا بمصـــر الحـــاكـــمـــينا
هـنالـك تســـبـق الدّنـيـــا جـــمـــيـــعـــا
جـــيــــوش لـن تـذلَّ ولـن تـهـــونا
وتـغـــــــزو أو تـرى آبـاء صـــــــدق
بما رجـــعـــتـــه قـــد قـــرّوا عـــيــــوناً
ولـم نـخـش المـقـــــاصل فـى مـنـاهـا
ولـم نـخش المعـــاقل والسّـــجـــونا

إلى السادة الوزراء !..

سمعتُم رعوداً ألم تسمعوا ؟
رأيتُم بروُقاً ألم تجزعوا ؟
أما تستحون لهذا المجون
.. أليس من الشّيب ما يردعُ؟
أما تستحون لهذا الخراب
وقد هلك الطفل والمرضع ؟
فتشتُ السّياسة والسائسين
فما الكمُو بينهمْ موضعُ !
فهذا هو الهول يوم الوعيد
وكلكُم راح يستمتعُ !
أفي ساحة الكون بين الدماء
يقام المصيف أو المربعُ ؟
أفي مأتم قام عرس لمصر
تقرّ به العين والمسمعُ ؟
رئيس الوزارة فوق السفين
يغنى بليلاه أو يسمعُ
تكال له المتع الوافيات
وللوطن الموت والمصرعُ ..

* * *

دعـــــوا الحكم لـســــــتمْ كـــــفـــــاءً لـه
ومـــــــــــــا فــى هــداكــم لـنـا مـطـمـع ؟
لـكُـمْ أوجـــــــــه كـلّـهـــــــا أعـينٌ
ورجــــــــلان لـلـسّـــــــعـى لا أربـعُ
وأيـاّمكـمْ قـــــســـــمَـــــةٌ لـلـحـــــيــــاة
بـهــــا مــــــايســــــرّ ومــــــا يفــــجعُ
ســــــــقـــــوط الـوزيـر إذا لـم يـكـنٍ
إلـيــــــه لأوطـانــه مـــــــفــــــزع
ومـــــن ذا الـــــوزيــــر وتـــاج الـــــوزيـــــر
ولـيــــــا يـضـــــــرّ ولايـنـفـعُ ؟
هـبـــــــوا أنكـم أعــــــدل الـكـائـنـات
فـــمـــا عـــدل مـــســتـضـعف يـصـفعُ ؟!..

حكومة الزنج (*)

برامكةٌ وليس لهم رشيدُ
وأقيالٌ وكلُّهمُ عبيدُ
مدحتهمُ فما شرفوا بشعرى
لخسّتهمْ ، وما شرف القصيد
وصغتُ هجاءهم فإذا الأهاجي
على الأفواه لحنٌ أو نشيد
لقد حكموا وما كانوا عدولا
فعادوا كلَّ ذى شرف وعُودوا
فما لسوالف منهمْ قديم
وما لخوالف منهمْ جديد
وأسفل صاعد للمجد قومٌ
على حُرماتهمْ كان الصعود
لكيما يحكموا ركعوا هواناً
وطاب لهم من الذلّ السّجود
فيابئس الحكومة والمعالى
إذا ارتفعت إلى الحكم العبيد

* * *

(*) نقد لاذع لنظام الحكم فى مصر ، ولسياسة الملك فاروق حينما ركز سلطة القصر ورياسة الوزارة فى يد شقيقين تقاسما حكم مصر .

أينعم من وفير المال قومٌ
لأجل ثرائهمْ ذابت كبود
ولون سيادة الدّنيا إباءٌ
فإن يُفقدْ فتربتها الخدود
وتعساً للعرين فمذ تعالت
به الجرذان جافته الأسود
فشلّنا والمواهب من أُناس
غباؤهُم له حظ رشيد
فأيقاظا دلفْنا فى دجاهمْ
وقضَّوا صبحنا وهُم رقود

* * *

لقد رجّعتُ آهاتى طوالاً
ورجّعها معى الجَم العديد
وما ندرى ، وما يدرون يوما
لعمر الدهر ، مَنْ منا السّعيد

غضبة فرعون ...

« كتبها الديب عام ١٩٤٠ فى أثناء الحرب العالمية الثانية ثائرا على الانجليز لتحكمهم فى شئون مصر الداخلية» .

ماذا استخّفك حتى جُست آَجامى
لا راهباً غضبتى أو خائفاً جامى
رزُء السّماحة أن تُعطى لجاحدها
وأن يجود حياها ربَّعَ إجرام
حطمتُه صولجاناً ليس يعصمنى
لؤم الضعاف طغوا من فيض إكرام
أشبعتُهم فأجاعوا من خلائقهم
ما لا يُهذّب فى جوع وإطعام
قل للخفافيشِ إن الشّمس طالعةٌ
وساحة النور لم تُخلق لهّوام
ما للثعالب ضلّت من مطاردها
جحورها ، واستباحت غيل ضرغام
أمام ذئب فلاة قد جرت فزعاً
وفى حمى الليّث تبدى بأس هجام
تلك الثعالب يستعلى بها ملأٌ
هم عصبة الجُبن فى شعبى وأقوامى
أأمّة عجزت عن صون بيضتها

ومــــالهـــا عـــصـــمـــةٌ من جـــرحـــهـــا الـدّامى
تُعلى وتـخــــــفض مـن حكّام مملكتى
كـــــلاًّ ، فـليس رضـــــاع الـذلّ حكـامى
لا تحـــســـبـــوا أن فــــوق التّـــاج مُلككمـــو
ألبـــأس بـأسىَ ، والصّــمــصـام صــمــصــامى
بنيت مـــجـــدىَ من عـــز ومن شــــرف
عـلى أســـــاسينْ ، إيمـانى وَإقـــــدامى

* * *

هِى القـــيــامـــة إن مـــسّت مطامــعكم
عُـــلا ســريرى ورمـــتمْ فـــيـــه إرغـــامى
لـى من مـــعـــونة ربِّى جند مـــقـــتـــدر
وفـــوق أعـــلامكمْ أضـــغـــاث أحـــلامٍ
ذلّ الإســـــار عـليكم قـــيـــده ذُبحتْ
به مـــهـــابتكم ، ياشـــعـب أغـنام
يـا كـــاذبين على الـدنيـــا بحـــربكمـــو
ونـصـــــركم بينهـــــا تـزويرُ أرقـــــام
لو شـــئت ، أوشـــاء شـعـــبى كـنتم أُكـــلا
لحـــوت نيلى ، وأحـــجـــارا لأهـرامى

وصف معركة بحرية ...

سَــــــــرتْ بين مَـــــــــرهُويْن ليـل مُنافق
وبحْــــــــر مــــدى الدنيــــا خــــفىِّ الطرائق
كــــتــــائب فُلك جُنِّدتْ لكريهـــة
وحــــرب بهــــا تبـــيَّض ســـود المفــــارق
إذا مــــارست كـــانت جبـــال مــــرادة
وإن أقلَعتْ كــــانت قـــلاع تســـابق
ويعصمهـــا من بغتـــة الخطب فتـــيةٌ
رِضَـــاعُ الـوغـى لـم يعـــبـــأوا أىّ طارق
مُـــرهَفـــةٌ أرواحـــهم وجســـومـهم
مُـضَـــمـــخُـــة أثـوابهمْ بالمعـــابق
وهم بين دنيـــا البـــحـــر أشـــبــاه مـــوجـــه
كُــمــاةُ نضـــال دائمٍ مـــتـــلاحق
وهم فى مُـــفـــاداة الَسـُــفين وصـــونـه
عـطُاشـى إلى مـــوتٍ لدي الحـــرب شـــائق

* * *

تـصـــدَّتْ لهـــذا الفُلـك رقطاءُ خـــبّـــأتْ
تجـــاعـــيـــدها من كَـــيـــد رام وراشق
فـــألقت عليه مـــســـعراً من جحـــيـــمهـــا
أنابـيـل نـارٍ بـين مُـــــردٍ ومــــاحق

وزكّت نسور الجو ، قامت بغارة
رمايتها الشعواء تحصد ما بقىَ
فأصْلَتْ ، وأصلاها السّفين جهنّماً
لظاها قضاءٌ لم يجد أى عائق
بوارج تُفنى الطائرات بحالق
وأخرى تقد الغائصات بساحقٍ
ودوَّتْ بأرجاء الجحيم صواعقٌ
لها أنصت الجبارُ إنصات حانق
تحدٍّ لماء البحر صخرية اللظى
به مُهدرٌ فى العقل فهم الحقائق
قد اجتمع الضدّان فلتسقُط النُّهى
فقد تهلك الدّنيا ببعض الخوارق
ورجعت الأرواح صيحات هالع
من الموت مذهول ، وصرخات غارقٍ
وبارجة قاست بمحنة حينها
مقاساة توّاق لدنياه عاشق
تغُوص وتطفُو كالسّراج إذا خبا
وهلّ بأرماق الذبيح المفارق
وكم دارعات هدهَد الموت عابثا
بقَيّات ألواحِ لها ونمارِقِ

* * *

بدا الصبح ليلاً بالمحيط وقد علا
إلى النّجم وهاجَ اللظى والحرائق
ولم يقض غير «القُبّطان» وقد نجا
من الموت ملاّحون فوق الزّوارق
كذلك أبطال البحار وفاؤهم
لفلكهمو كالسّلسل المتدافق
تبدّى على ظهر السفينة واقفا
مُحاطاً بأعلام لها وبيارق
وهامته فوق المواكب رِفعةً
ومن وجهه الوضّاح فيضُ مشارق
فغاص وإيّاها قريراً كأنّما
هما توأمان فى رفاتٍ مُلاصق

* * *

وما مر هذا الليل إلا على دمٍ
سُلاف لحى الحوت حناءُ نافق
قد احترّقت فيه النّجومُ فمابدا
بها من دخان أو لظى أى بارق
ولم يبق فى التّيارَ إلاّ ثمالةٌ
بقايا سفين أو بقايا خلائق
إذا لم تكن حرب البَحار قيامةً
فأشراطُها منها عقيدة واثق

بين تحتمس وفاروق

دخل الشاعر إلى غرفة زعيم حزب مصر الفتاة يبثه شكواه فوجد تمثال تحتمس الثالث موضوعا أمامه وفوق رأسه صورة الملك فاروق وأمامه صورة زيتية حول الفلاحين الذين كرس لهم حياته وجهوده فأهاجه هذا المنظر فقال :

تذكرت الفداء فعفت نفسي ... وعاودني الهوى فذكرت بأسي
وفاضت بي هموم مترعات ... فلا حزن يفيد ولا تأسي
قتلت أبا الخليقة؟ أي وربي! ... فعاداني الورى من كل جنس
وقالوا سادر ورضيع كأس ... وما قالوا سوى إفك ودس
وفلسفة ركنت إلى هداها ... فكان بعطفها قيدي وحبسي
أقمتم مأتمي في بكر عمري ... فهلا قد أقمتم يوم عرسي؟
دخلت إلى الرئيس* أبث حزني ... وأطلعه على آلام نفسي
دخلت بمعقل يحوي ملوكا ... تماثيل ازدهت في شبه حس
تحتمس في شباب عبقري ... تنزه جسمه عن كل رجس
أمام عيون أحمد يجتليه ... ويسمع منه ما يفضي بهمس
وينفث في زعيم الجيل روحا ... إلى الغزوات يصبحها ويمسي
تذكرت العزيز بيوم حرب ... تقاد له الملوك بعين شمس
ومصر بعهده ملكت شعوبا ... فأين اليوم من ملكوت أمس
هنا أبصرت إيمانا وحسنا ... ورونق جنة وضياء شمس
لفاروق وأي مليك شعب ... تغلغل حبه في كل نفس

(*) يقصد بالرئيس أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، ونشرت هذه القصيدة عام ١٩٣٩

على رأس الرئيس بدا بسيما … وصورته تشع بكل أنس
ودون الصولجان رأيت قوما … لهم سيماء من سكنوا برمس
ينادون الرئيس نداء شاك … بمنجله يدلل أو بفأس
وها هم قد رأوه لهم ظهيرا … عن الفلاح يشرب كل كأس
سقى أعطافهم أمل نضير … فما شعروا على الجلى بيأس!

حطم السجن

أقدم فقد يئس المسجون واضطربا | وحطم السجن لاتعدل به رهبا
رو الكنانة ، إما بالندى غدقا | أو من دماء الضحايا روها حربا
جعنا وذقنا الأسى من حكم مشيخة | بكلدنا يأكلون الخز والذهبا
وإن شكونا يزيدوا عيشنا حرقا | كالنار إن تخب زادوا فوقها حطبا
واليوم جئت فكفكف دمعنا كرما | وحطم الشيب لا لوما ولاعتبا
أتى زمانك فلتملك على شغف | أزمّة الشعب عهد الشيب قد ذهبا
قد الجنود إلى الميدان مغتبطا | وكن على مصر فى بأسائها حدبا
وهبت روحك للأوطان تنصرها | فأنت أكرم من زكى ومن وهبا
يا ابن الحسين هى الدنيا ففز بطلا | فيها ولاتك مهما أرهقت سلبا
والبس لها كل يوم درع غالبها | مقذفا لا مسوحا يؤثر الهربا
مصر الفتاة وقد أعليت حجتها | بنيتها من قوى لاتعرف النصبا
خذ الحكومة إن قسرا وإن قدرا | فالحكم يعشق من قاسى ومن غلبا

(*) موجهة إلى أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة فى الفترة التى كان فيها الديب شاعر الحزب (١٩٣٨)

القوة حياة الشعوب

أهم كامن الدنيا إذا كنت تضرب
هو اليأس لايخبو ولا يتذبذب
وكن أنت طلق النار إن خاب مقتلا
تنل من هناء العيش ما تتطلب
رأينا الشعوب الغالبات وقد غدت
على الخصم فى الهيجاء نارا تلهب
وكم من كمىّ فى مضارب سيفه
منايا لها الأعداء فى الحرب تلهب
لقد دارت الأفلاك يامصر فانهضى
إلى موقف دامٍ به النصر يكتب
ثقى بالشبابِ الصابرين فإنهم
غياثك إن شاموا الدنيئة يغضبوا
بهم كل مرهوب العراك مُقذّف
وفى برده ليث إذا ريع أغلب
وفيهم نسور فى انقضاضهم الردى
لهم كل يوم طيرة وتوثب
كذلك يامصر الحياة شجاعة
فللبأس فى الأقوام دين ومذهب

القسم الثاني : النثر

اعترافات الديب

لقد سجل عبد الحميد الديب مشاعره وعواطفه وأحلامه في قصائده الشعرية التي تنبض بالحرارة والصدق والعاطفة ، وكان شعره سلسلة من الاعترافات ولكن الكثير من الأدباء يعتقد أن الديب لم يمارس كتابة النثر .. والحقيقة أن شاعر البؤس لم يكتب نثرا إلا في فترات متقطعة في سنواته الأخيرة. وقد عثرت على بعض كتاباته النثرية التي كتبها ما بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ بعنوان (خواطرى) وقد رسم الديب في تلك الخواطر صورا طريفة لحياته سجل فيها مشاعره وأفكاره وتأملاته وأحلامه وذكرياته بصورة تفصح عن ذاته وتعكس مدى ما كان يعانيه من بؤس وألم وغبن. ولقد استمد شاعر البؤس تلك الخواطر من حياته الخاصة وتأملاته في الأدب والحياة بلا مواربة ولانفاق ، بل حرر أسلوبه من كل القيود والأغلال مما أضفى على تلك الخواطر الصدق والعاطفة النابضة بالحرارة .

وإذا رجعنا إلى تعريف الكاتب الفرنسي بأن «الأسلوب هو الرجل نفسه» نجد أن أسلوب الديب بما يتسم به من إشراق البيان والرقة والوضوح والصدق والحرارة والشاعرية والعذوبة يعد انعكاسا صادقا لطبيعته الشاعرية ونفسه الحساسة المرهفة . وبعد فهذه هي خواطر الديب التي تعكس صورا حزينة قاتمة لحياته البائسة المكدودة وألوانا من الغبن والافتئات لاقاها هذا العبقري الموهوب البائس ، حتى صور لنا بعض اعترافاته التي استمدها من واقع حياته ، وصور بها لمحات من ليالي الصعلكة والتشرد !

لقب شاعر البؤس

أجمع المتحدثون عن الشعر والشعراء على أن يمنحوني لقب شاعر البؤس، وأن يتوجعوا لآهاتي وزفراتي في شكواي الزمن وتبرمي بالناس .

وأؤكد لهؤلاء جميعا أن البؤس هو الصلة الروحية بين الأرض والسماء هو صلة قلب الشاعر بربه وكفى !

وليس من شك في أن البائس في الدنيا هو مرشد الوسط الذي يعيش فيه وهاديه ، وأخيراً هو الضحية والقربان للأحقاد والمفتريات !

والظاهرة البارزة في حياة البائس هي الفقر إلى حد الفاقة وكم تمر ليالي الشتاء المهلكة عليه دون أن يجد ملجأ أو (كُنّاً) يتوارى فيه وتعصمه كبرياؤه أن يطرق أبواب

معارفه لينام أو يلتمس الدفء. وقد يطوى الليل والنهار جوعان حيران ، وكلما طرق بابا للكسب من طريق العمل والجهاد يرى دون هذا الباب ألف كلب مسعور تحول دون نيله أمنيته فيعود وقد ملئت نفسه حقدا على المجتمع ، وحسدا لأرباب النعم ، ويرى من الفضائل أن يعلن حقده وحسده وأن يسجله في قصيدة أو قصائد. والذى لا أدريه ولا يدريه الفلاسفة هو : لماذا يراد للشاعر هذا الوضع الذليل ؟ .. أوه ، لقد عرفت أخيرا شيئا كنت أجهله ذلك أن كثيرين من عشاق الشاعر الباكى الحزين يجاهرون بوجوب فقر الشاعر الذى نظم هذا الشعر حتى يخرج لهم ألوانا منه كلما طعنته المحنة طعنة قاتلة. ولعمرى إن هؤلاء أجهل الناس بنظم الشعر وتأليف القصيد ، ولو عرفوا لأدركوا أن الفقر يميت الموهبة ويقتل العبقرية وليكن حرمان الشاعر فى أن يعجز عن الاصطياف فى أوربا مثلا ! ..

أما أن يعجز عن الاصطياف فى روض الفرج فهذا هو مبعث الحقد والتبرم بالناس !. وهل يستطيع أن يقول شعرا ولو فى الجوع؟.. إن الغرام وهو أرفع مظاهر النفس البشرية ينحدر أمام العوز والفقر والجوع ، وكيف يتناجى العاشقان وهما جائعان أو عاريان أو مسهدان؟..

ولماذا لايغنى الشاعر فيقول فى ألوان أخرى من القصيد الذهبي المرح؟.. الحق أن الناس يجهلون ، ولو أنهم امتحنوا بيوم من أيام الشاعر فى عيشته الخاصة لآثروا تعجل الموت! ..

يوم من أيام المحنة ...

طلع الصباح فهب الناس من مراقدهم ، ورقدت أنا ، إذ طويت الليل ساريا فى طرقات القاهرة لعجزى عن اللجوء إلى أحد الفنادق فلجأت إلى فندق الله (الجامع الأزهر) فى أول تكبيرة أهل بها ذلك المؤذن الفاتن الصوت على مئذنته التاريخية العجيبة. وماكدت أسلم عينى لهذا النوم المختلس حتى شعرت بيد تهزنى هزا فاستيقظت فزعا ورأيتنى وجها لوجه أمام من يدعونه (مخبر) ورأيت إلى جانبه شتيتا من الناس كلهم ترتسم على وجهه الآلام التى ترتسم على وجهى ، فنظمنى وإياهم فى سلك واحد ، وساقنا جميعا إلى قسم الشرطة .

أوه ! .. أين حذائى ؟ لقد تفقدته فلم أجده فاضطررت أن أسير مع إخوان الشقاء حافيا وتصور (أفندى) كامل البذلة يسير حافيا ؟ .. وإذ كنا فى بكرة اليوم انتظرنا حتى يستيقظ الضابط المنوب ليقوم بالتحرى عنا . وماهى إلا فترة حتى كمل وضح النهار ، وإذ ذاك لمحت حذائى الضائع فى رجل أحد المقبوض عليهم فاقتربت منه وقلت فى همس (حذائى ياصديقى!..) فتجهم لى وجاهر بأنه حذاؤه ، ولم يبال بوعيدى أن أتهمه بالسرقة وكان الضابط قد صحا وسمع الحوار الذى التهب أخيرا بينى وبين هذا اللص المتبجح فلفت نظره إلى تحقيق جريمة السرقة قبل كتابة (محاضر التحرى) فلم يستمع لقولى وظاهر اللص علىّ وقرظ انتعاله إياه ووبخ حفاى فثرت عليه ثورة أنستنى موقفى منه وموقفه منى ، وبعد فترة رأيتنى مجردا من كل ملابسى إلا قميصا غل يدى عن الحركة وجرهما إلى ظهرى . ذلك هو قميص المرسلين إلى المارستان (مستشفى الأمراض العقلية) ضيوفا على سراى (العباسية) أو (الخانكة) .

وهناك فى دارة (عالم الجنون) رأيت العدالة فى ربيع صباها ونضرة شبابها ، رأيت أحكام المجانين من مدير إلى حارس كلهم عادلون منزهون عن الميل والهوى والإجحاف بحقوق روادهم المساكين . ولما عرضت على الطبيب المتخصص فى فحص القوى العقلية أثبت سلامتى وكمال عقلى ، وردنى ردا جميلا .

وقدر لى ، بسبب هذا ، أن أسعد بعمل صحفى مركز ، جل شأن الله! ..

الخمر والشعر ...

ها نحن على أبواب الحانة نطالعها فى هزج الصباح وقد تندت ملابسنا بطل الندى وباكرنا طرق المدينة كطليعة الفداء فى الحرب الطاحنة . نحن أبناء الأعيان ؟ .. بلى ! .. إنه لحق إذا استثنيت شخصى الضعيف فلست من قيس ولا قيس منى ، ولست من أبناء الذوات أو الأعيان ولكنى أملك وجاهة أخرى ليست من هذا النوع اللامع البراق ذلك أنهم يعرفوننى بالشاعر بل يقولون (شاعر البؤس) !! ..

ولا أكذبك أننا جميعا خلقنا لوجه الكأس والشيطان ، أجمعنا أمرنا عشاء أن نشربها صبوحا وأن نسبق منبه الخمار إلى إيقاظه بأصواتنا الجائعة إلى الكأس !.. لقد استيقظ الساقى وأحطنا بالطاولة التى اعتدنا الشراب حولها ومافينا باخل أو ضنين كل على صديقه . لقد خاب أمل الصحاب فىّ إذ أسروا فيما بينهم أن يسقونى الكأس صبوحا لأقول قطعة غنائية تخيلوا أنها ستكون «أغنية الجيل» وإذ فتشوا لى سريرتهم في موقفى وأرادونى على القول عييت حتى عن نظم سطر واحد من بيت .

لقد حسبوا الخمر وحمياها تلهم الشاعر أو تفتح له مغاليق الموهبة . لا.. لا.. هذا رأى من لا يقدر للشعر منزلته من السماء وموضعه من الوحى والإلهام . تناوبوا لومى على هذه البكاءة وهذا العى والحصر .

قلت : اتركونى إلى سنة من النوم على كرسى أقول بعدها بيتا أو أبياتا!.. وأسلمت نفسى إلى غمرة السكر فى حالة أشبه ماتكون بالنوم واستيقظت أنشط من رابح النمرة الأولى فى اليانصيب إلى قبض جنيهاتها الآلاف!.. وإذ ذاك استطعت أن أنظم القطعة التى غناها الموسيقار رياض السنباطى ومطلعها :

كلما أقبل ليل أو نهار
شاقنى العهد وشاقتنى الديارْ
وشجانى سحره هذا المزار
والليالى الخرد الغيد النضارْ
بعد طول البين هل يُجمع شمل ؟ ..

هو نــار ، هــو وجـــــــــــــد ، هــو قــــــــــــتلُ

ياحـــــبـــــيـــــبى كـــــيف أنجـــو كـــيف أسـلو؟

لقد نجحت فى نظم القطعة ، ولكنى نظمتها وأنا صاح غير مخمور !

الحق أن الخمر عدو للشعر ، ومن الخطأ الشائع أن الشعر يواتى فى حالة السكر !

أنا وأمير الشعراء :

كان اليوم مقرورا تلفح سمومه وجوه المضطرين إلى مواجهة العراء ، وكان صاحبى فى المحنة شيخا معمما قضت الصدف العجيبة أن يشاركنى فى ليلى ونهارى. كلانا غريب ، وكلانا لا وطن ولا سكن ، وكلانا مهاجر بين أقطار الأسى لايجف له دمع إلا إلى مدمع. وإذ باكرنا هذا اليوم ظللنا نذرع الطرقات حتى مررنا على (صولت) إذ كان ندىّ أمير الشعراء (أحمد شوقى) ومجلى صحبه وحاشيته قلت لصاحبى : إن هنا من لو شكونا اليه لمسح دموعنا ! ... وقال : وى ! .. أفى الأرض أم فى السماء هذا الشفيق المنتظر؟ .. قلت : إنه أمير الشعراء شوقى بكِ !.. وعمدت إلى ورقة من أوراق جيبى الذى لازمته عاما على الأقل فكتبت فيها البيت الآتى :

هل أنت منجد من ضاقت به الحال وقد تغرب : لا أهل ولا مال؟

وأرسلتها مع صاحبى مكررا توصيته أن يخاطب (الأمير) بالباشا إذ كان يهمنى أن أصل بأميرى إلى القمة من غير شك ، وماكاد شوقى يأتى على البيت حتى وقع تحته توقيعا ذكّرنى بأيام البرامكة وعطفهم على طائفة الشعراء والأدباء.

حادث بينى وبين طالب :

بدأ يوم (الجمعة) المولد الأحمدى مولد السيد البدوى ، ويحرص الآلاف من الريفيين على ارتياد الجامع الأحمدى فى أول يوم من أيام المولد المذكور ، وإن الناس لفى ضراعتهم إلى الله وزيارتهم لضريح (صاحب الفرج) كما يدعونه فى أيام المولد والرجبيات إذ استرعى أسماعهم صوت جهير يردد أبيات قصيدة فهرعوا إلى مبعث الصوت فأنشدتهم :

الحرب بالأبواب أين بنوكِ ؟.. يامصر ناديهم لكى يحموك؟..

يامصر ما الطليان كفؤك فاهجمى إن لم تكونى مُـرّة أكلوك

والظاهر أن رأيى فى وجوب اقتحام المعمعة لم يصادف هوى فى نفس أحد طلاب المعهد الدينى فجرى هذا الطالب فى ثورة واختطف القرطاس الذى كتبت فيه القصيدة من يدى ومزّقه ، وهنا فارقت المنصة فى غضبة ملتهبة واختطفت غطاء رأس الطالب ومزقت شالها الأبيض الناصع البياض وقلت للطالب :– أنا لم أخسر شيئا لأنى أحفظ القصيدة وأما أنت فقد خسرت لأنك لاتحفظ غطاء رأسك!.. فتدخل الجمهور فى الحادث فرفضت الصلح مع الطالب إلا إذ كتب القصيدة بخط النسخ الجميل ، فأذعن الطالب وكتب القصيدة فانتهت المشكلة بسلام واعتنق الطالب رأيى فصفق الجمهور!..

أنا وزوجتى ...

ها أنذا أحرق البخور بين يدى زوجتى لأرقو عقوقها لى فى مصاحبتى إلى نزهة أو ارتياد إحدى دور السينما ، وكلما مثلت لها مباهج الشارع وزينت فى عينيها مناظر المجتمع وبشعت فى خاطرها وحشة البيت ووحدتها وانفرادها فى السكن زاد عقوقها وازورت عن هذا الأنس الموعود ، ورفضت ثم رفضت عابسة متطيرة من النزهة والسينما وما إليهما؟.. فلماذا هذا التطور فى رغبات السيدة وهى فى العقد الثانى من عمرها ؟ لقد كانت إلى عهد قريب صاحبة الاقتراحات الماكرة فى التنزه والفرجة على دور السينما والتمثيل ، وكنت إذا رفضت اقتراحاتها فى هذا السبيل ترمينى بالرجعية والردة عن الحضارة والتمدين وتضرب الأمثال بالقريبات والجارات اللواتى يتمتعن بحرية فضفاضة خارج البيت.

فما الذى أطفأ فى زوجتى هذه الجذوة المتحرقة إلى التمتع بلذاذات الفسحة ومتع الفرجة؟.. ما الذى خلقها خلقا جديدا وخلقنى خلقا جديدا فى هذا الموقف؟.. أصبحت أنا الراجى والمقترح وهى الأبية الرافضة!.. أوه... لقد علمت كل شئ وإنها لتُديل منى بحق إذا أصررت على وجوب مصاحبتها إياى ، إنها غاضبة على الشرف والكرامة وخشية العفاف على جرح كيانه وهدم عزته(١)

بلى!.. إن هنالك كلابا مسعورة تترقب المرأة فى كل مضطرب من أرض مصر وفى كل طريق وزقاق من العاصمة الكبيرة!.. مواقف يرسلون منها ألسن السفه وألفاظ الكنايات الوقحة والنكات السمجة ولاحيلة للمرأة أو لمن يصاحبها فى إدانة هؤلاء الملاطيع مادام القانون لايعاقب المعتدى إلا إذا كان من أثر اعتدائه أن يرى دم الضحية أو جراح المعتدى بجسمها البرىء؟.. هيهات!.. لقد شكونا غير واحد من هؤلاء فكان نصيبنا من الشكوى إهانة جديدة نسمعها من الضابط ثم يُعرض عنا فيفلت المجرم من بين يديه أقوى مايكون معتدٍ وقح على شتم الناس .

فهل آن أن تتدخل وزارة الشئون الاجتماعية فى هذا الموقف الجوهرى من حياتنا الاجتماعية؟!..

الشعر والنظم :

ها أنذا جالس بمقهى بالحىّ اللاتينى(٢) وقد هبت نفحات العصر فى ذلك الحى المملوء بالسحر تحمل بين خطرات النسيم روائح المباخر والمسك وليس يصاحبنى فى

---

(١) الحقيقة أن السبب الرئيسى فى امتناع زوجة الشاعر البائس عن مصاحبته فى التنزه هو ألم زوجته لرثاثة ثياب زوجها وثيابها فضلا عن سخرية بعض الأشقياء بالشاعر البائس وهو يسير مع زوجته

(٢) الحى اللاتينى اصطلاح كان يطلقه عبد الحميد الديب على حى (الحسين) .

جلستي إلا إبريق الشاي وأكوابه . أوه لقد أقبل هذا الشاب الأزهرى الثقيل يحمل فى يده ورقة ويلوح لى بها كما يلوح لى الدائن بصك مكتوب عليّ فيه بعض الدين . ترى ماذا حملت الورقة من هراء صاحبى وعبقرية جهله؟!.. لقد جلس بعد أن حيانى تحيه أكثرها ألفاظ وأوصاف ضخمة لشخصى المنكوب!.. فرددت عليه بما اعتدت من نظرة مقشعرة وامتعاضة أغلقت عينى عن رؤيته ... قال : لقد أصبحت شاعرا ... اسمع يامترا! (يامترا!.. كذا يلقبنى شيخنا ساسان!..) قلت فى نفسى : سمعت الرعد يا (....) وأظهرت له استعدادى لسماع إلهامه البليد قال :- إن فلانا شتمنى ولكمنى فى صدرى ... أى وربى .. فلم أجد بدا من هجائه!.. وتلا عليّ مطلع القصيدة وهو :

بغلٌ يريد الحرب كى يحظى بما صنع الحمار مع الأسود الضاريه

فلم أجد بدا من استئذانه بضع دقائق أعود إليه بعدها . وإذا كان القارظان قد عادا فإني عدت إلى هذا الشاعر (البليغ)!..

ومثل هذا كثيرون ممن أغراهم الجهل بالشعر فنظموا وحطموا وذلوا وهم يظنون أنهم شعراء والعياذ بالله!..

نقد شاعر لشاعر :

إنما يداوى شارب الخمر بالخمر ، ولايفل الحديد إلا الحديد. فإذا انبرى شاعر لنقد قصيدة شاعر آخر فمن الغى أن ينقده بهذه الطريقة الخائبة التى يتعبدها النقاد الشرقيون وهى التصدى للألفاظ وأخذ المعانى والأغراض حتى كأنها خادمة للألفاظ والأسلوب!! ... الشعر ليس ألفاظا ولايمت إلى اللغة المشتركة إلا من حيث أداؤه . وإذن ينبغى أن يكون نقده بطريقة أخرى، فيتحدى الناقد الشاعر بنظم البيت نظما أوفى مما هو عليه من صياغة ومعنى وخيال، قال فلان كذا ، وأنا أقول كذا ، وللناس بعد هذا عقول ومدارك تظهر أفضلية أحدهما على الآخر .

السماجة والجسارة :

قلت لصاحبى وقد طالعنى قبل مطلع الشمس فى بدلة مهلهلة وطربوش درن وحذاء لاشك أنه توارثه عن أبى القاسم المشهور :

ماذا أقض مضجعك فباكرت مطلعك؟.. إنى لأرى فى عينيك الحمراوين ووجهك الأصفر المتقعِ كأنك طويت ليلتك فى ترصد أحد النجوم حتى إذا سلم النجم إلى أبراجه عدت إليّ فى هذه السحنة وتلك الثياب..!.. قال : بلى .. إنه لحق ... لقد طوقت بطرقات القاهرة من الأصيل إلى هذه الساعة ولقد دفنت فى كبدى خلال هذا الليل

الكافر سهاما يكفي أحدها للقضاء عليّ لولا أني وطنت نفسي على احتمال المكاره!...

وكان صاحبي في نعمة ضافية سابغة الكساء ، كان مدرسا بإحدى مدارس الفرير بمرتب لايحلم به أربعة أو خمسة من مدرسي الإلزامي ففوجئ بالفصل من عمله لا للسبب الذي يفصل به المدرسون أو تهوي به الكواكب أو تثور البراكين؟!

لابل إنه كما أعلم عنه ليس سمجا مداهنا!.. ومع أنه كاتب وشاعر فقد عجز عن نظم مقطوعة من المدح لهذا الأب الفريري الفرنسي الذي يدير المدرسة!.. ولقد استطاع منافسه البكيء لأمرٍ ما أن يظفر بتجديد عقده عاما آخر بالمدرسة، ذلك بأن الشيطان درّب نفسه القذرة على الضراعة والتفنن في الذل والمسكنة ومشى مع المدير في مراحل غروره يزوده في كل مرحلة بقوة من النفحات الكاذبة والألقاب المزورة ، ثم يهبط تحت قدميه هبوطا لايرتضيه العم سليمان النوبي بواب المدرسة .

إنما ليست المسألة مسألة العيش والهناءة في الحياة إلا رهينة هذه الصنعة : صنعة السماجة فمن أتقنها فهو العامل السعيد ومن عي عنها فهو العاطل الشريد!.. ولا أدري أهذا هو اللون الذي يعنيه الشاعر الأول بقوله :

من راقب الناس مات هما   وفاز باللذة الجسورُ

أم ليس إياه؟!.. فإن كانت الأولى فاللهم إن السماجة من مكارم الأخلاق!..

في حضرة الخديو

كانت فترة مفردة حلوة تلك الفترة التي باكرت فيها الشباب تلميذاً بمدرسة (دار الدعوة والإرشاد) التي أنشأها التلميذ الأول للمرحوم الأستاذ الامام وهو المرحوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) .

ولقد حال صغر سني يومئذ دون إلحاقي بالقسم الداخلي حتى إذا زار المدرسة الخديو عباس حلمي قمت في حركة جنونية وارتجلت في صوت جهير مسموع :

مولاي إن المسلمين كما ترى   ما بين مظلوم وبين مهان

فابتسم ثم أمر بإلحاقي بالقسم الداخلي ومنحني ساعة قيمة بقيت معي مدخرة في جيبي حتى فرّقَ بيني وبينها ... وكم فرقت الحاجة بين العزيزين المتحابيّن !

المراجـــع

١ - الدوريات :

١ - مجلة الصباح	(١٩٣٤ - ١٩٤٣)
٢ - مجلة أبوللو	(١٩٣٢ - ١٩٣٤)
٣ - مجلة المقتطف	(١٩٣٥ - ١٩٤٢)
٤ - مجلة الرسالة	(١٩٤٠ - ١٩٤٣)
٥ - مجلة الكشكول	(١٩٢٧ - ١٩٣٢)
٦ - مجلة مسامرات الجيب	(١٩٤٦ - ١٩٥٠)
٧ - مجلة الاثنين	(١٩٣٩ - ١٩٤٥)
٨ - صحيفة الوادى	(١٩٣٢ - ١٩٣٤)
٩ - صحيفة الأهرام	(١٩٣٩ - ١٩٤٣)
١٠ - صحيفة مصر الفتاة	(١٩٣٨ - ١٩٣٩)
١١ - صحيفة فتى النيل	(١٩٣٨ - ١٩٤٣)
١٢ - صحيفة «البلاغ»	(١٩٣٥ - ١٩٤٣)

٢ - الكتب :

١ - دراسات أدبية/ عمر الدسوقى

٢ - مأساة شاعر البؤس عبد الحميد الديب/ محمد رضوان - دار الهلال / ١٩٧٦

٣ - فيلسوف الصعاليك / محمد رضوان - مركز الراية / ١٩٩٩

٤ - عصر ورجال/ فتحى رضوان / مكتبة الأنجلو / ١٩٦٧

٥ - الشاعر عبد الحميد الديب/ د. عبد الرحمن عثمان / دار المعارف / ١٩٦٨

٦ - ذكريات باريس/ د. زكى مبارك / المكتبة التجارية ١٩٣٩

٧ - الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى/ د. يوسف خليف / دار المعارف .

٨ - تاريخ الشعر السياسى/ د. أحمد الشايب - القاهرة - ١٩٤٥

٩ - العقد الفريد/ ابن عبد ربه - القاهرة .

١٠ - ديوان الشنفرى/ القاهرة ١٩٣٧

١١ - ديوان عروة بن الورد/ بيروت

١٢ - الذين أدركتهم حرفة الأدب/ طاهر أبو فاشا / دار المعارف

١٣ - حكايات الشطار والعيارين/ د. محمد رجب النجار/ الكويت ١٩٨١

١٤ - علم النفس والأدب/ د. سامى الدروبى/ دار المعارف

١٥ - عبد الحميد الديب/ تأليف سيد عبد الحميد الوكيل/ رسالة ماجستير

الفهرس

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
وتر نافر وصعلكة مبدعة :		ثورة مظلوم	٨٧
فاروق شوشه.........	١	موت الشيطان	٨٩
حكاية هذا الديوان :		فى غرفتى	٩٣
محمد رضوان	١١	كيف أعيش ؟	٩٥
سيرة حياة الديب	١٧	الحبل المنقطع	٩٦
القسم الأول الشعر	٥٥	حرمان	٩٨
البائس	٥٧	فى السجن	٩٩
الطلل الباكى	٥٨	السجن أحب إلىّ	١٠١
وصف راقصة	٦٠	سرقة لحافى !	١٠٣
دمع المنازل	٦١	شياطين الملائكة	١٠٥
بؤس الشرف	٦٣	فى قريتى	١٠٧
أباة الضيم	٦٥	وداعاً شبابى	١٠٩
فى وصف الحبيب	٦٧	حرب الأصدقاء	١١١
مصرع الحظ	٦٨	القدر المذل	١١٣
غنى الجار	٧١	بين السكر والصحو	١١٧
يارية الدار	٧٤	صرخة شاعر	١١٩
فى مأتم عرسى	٧٦	من أنا ؟	١٢١
عيد بؤسى	٧٨	صبر البائسين	١٢٣
فى الحانة المظلمة	٨٢	حنين	١٢٤
شم الكوكايين	٨٣	أين الدنيا ؟	١٢٦
لماذا البؤس ياربى ؟	٨٤	يارب.. أين رزق السماء ؟.	١٢٨

عنوان القصيدة	صفحة
أجرة السكن	١٣٠
أجرة المنزل بين شاعرين	١٣٢
مناجاة حبيب	١٣٤
محنة بؤسى	١٣٨
ورقائى الذبيحة	١٤٠
طل الندى	١٤٢
العيد الحزين	١٤٥
فى المستشفى	١٤٦
أنا غريب	١٤٩
ثورة بائس	١٥٠
نشيد الأمل	١٥٣
قربان البؤس	١٥٤
شبابى البائس	١٥٧
لماذا أعيش ؟	١٥٨
فى عالم الجنون	١٥٩
من الماضى القريب	١٦١
حسيب وحسيب	١٦٤
والناس فى مصر	١٦٥
مداعبة	١٦٧
أنا وقومى	١٦٩
إنما الناس عبيد	١٧٠
دع الشكوى	١٧٢
أين ليالينا	١٧٣
خطبى	١٧٤
سهد الطوى	١٧٥
أنا وحرمانى	١٧٧
الباب الموصد	١٧٩
شكوى الزمان	١٨١
أنشودة الظافر	١٨٢
إلى آكلى الذهب	١٨٤
شر المهالك	١٨٥
فى حانة «كركور»	١٨٦
بين الهجاء والشكوى والفخر	
مختارات مأثورة للبيب	١٨٧
البدر فى ليلة الغارة	١٩٦
بأى قوانين الحياة نداس؟ ..	١٩٨
عيدى فى السجن	١٩٩
دنياى	٢٠٠
آخر الأناشيد	٢٠١
لماذا شقيت	٢٠٢
من شاعر يموت إلى شاعر مات	٢٠٥
توبة	٢٠٨
أحزان العيد	٢٠٩
العزيز الذليل	٢١٠
ركب السعداء	٢١٢
بؤسى وبؤس طه	٢١٣
البلبل الذبيح	٢١٥
معهد الموسيقى	٢١٦

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
هات المدام	٢١٨	فى المطار	٢٥٧
ليتنا مثلهم	٢١٩	زيارة الهرم	٢٥٩
أحزان الأسد	٢٢١	الفلاح البائس	٢٦١
جنة وصحراء	٢٢٤	ساعة فى الأوقاف	٢٦٣
النجوم	٢٢٦	إلى الإنجليز	٢٦٤
موت القمر	٢٢٧	إلى قوات الاحتلال الانجليزى	٢٦٥
الشعر الوطنى والسياسى		قتلتم الناس جوعا	٢٦٧
عرس المليك	٢٣٠	الجهاد	٢٦٨
حتى الرغيف فقدناه	٢٣١	فضائح التموين	٢٦٩
منع اللحم	٢٣٢	إلى الحرب	٢٧٠
بين الوطنية والفاقة	٢٣٣	فلسطين الدماء	٢٧٢
ثورة محروم !	٢٣٥	خلوا الكتابة للمدافع والظبى؟!	٢٧٣
الطائرة الساقطة	٢٣٦	تعست أمانى الحكم ...	٢٧٥
الضرير	٢٣٨	وطنى لوجهك هجرتى ومحبتى ..	٢٧٧
إذا جبن الشباب	٢٤٠	مالى وللحرب أصلاها وتصلانى	٢٧٩
التضحية	٢٤٢	الحرب الحرب	٢٨١
إلى أخوانى التاعسين ...	٢٤٤	إلى الجهاد	٢٨٣
بؤس الفلاح	٢٤٥	الخونة	٢٨٥
صوت الفقير فى الحرب المقبله	٢٤٦	أنا الشعب	٢٨٧
صيف القاهرة	٢٤٨	إلى السادة الوزراء	٢٨٨
رمضانيات الديب		حكومة الزنج	٢٩٠
أنا ورمضان	٢٥٠	غضبة فرعون	٢٩٢
البائس فى رمضان	٢٥٣	وصف معركة بحرية ...	٢٩٤
فى تحية رمضان	٢٥٥	بين تحتمس وفاروق	٢٩٧

عنوان القصيدة	صفحة	عنوان القصيدة	صفحة
حطم السجن	٢٩٩	أنا وزوجتى	٣٠٧
القوة حياة شعوب	٣٠٠	الشعر والنظم	٣٠٧
القسم الثانى : النثر		نقد شاعر لشاعر	٣٠٨
اعترافات الديب	٣٠١	السماجة والجسارة	٣٠٨
يوم من أيام المحنة	٣٠٣	فى حضرة الخديو	٣٠٩
الخمر والشعر	٣٠٤	المراجع	٣١٠
أنا وأمير الشعراء	٣٠٦	الفهرس	٣١٢
حديث بينى وبين طالب	٣٠٦	محقق الديوان	٣١٦

محقق الديوان :

محمد رضوان

– ولد محمد محمود رضوان بالدقهلية بمصر فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٨م

– حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١م

– صحفى بدار الهلال – عضو نقابة الصحفيين – عضو اتحاد كتاب مصر .

– يتبع المنهج النفسى فى أدب السير والتراجم وله عدة تراجم أدبية .

– من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت – أنيس منصور – أحمد عبد المجيد – إبراهيم عيسى – عبد العليم القبانى – د. مقداد يالجن – سعد حامد – كمال النجمى)

– له خبرة فى الصحافة الأدبية ، حيث عمل فى سلطنة عمان رئيسا لتحرير مجلة «السراج» ومديرا لتحرير مجلة «النهضة» ويعمل حاليا كاتبا صحفيا بمجلة «الهلال» .

– من مؤلفاته التى صدرت :

١ – صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك .

٢ – مأساة شاعر البؤس ، عبد الحميد الديب .

٣ – شاعر النيل والنخيل ، صالح جودت .

٤ – فيلسوف الصعاليك ، عبد الحميد الديب .

٥ – رحلتى مع القلم .

٦ – اعترافات شاعر الكرنك أحمد فتحى .

٧ – شاعر الأطلال ، ناجى .

٨ – شعراء الحب .

٩ – ليالى هارون الرشيد بين الحقيقة والأسطورة .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٣٢٩٦ / ١٩٩٩.

الترقيم الدولى (I. S. B. N. 977 - 305 - 166 - 8)

ينفرد الشاعر عبد الحميد الديب بلون مميز فى شعرنا العربى المعاصر حيث يعده النقاد أبرز شاعر عكس تجارب حياته البائسة فى شعره بصدق وحرارة .

كان شاعراً فريداً . وظاهرة لم تتكرر ولن تتكرر كثيراً لقد عاش حياة غريبة مثيرة سجلها لنا فى لوحات فنية صادقة عكس فيها مأساة بؤسه ومحنة حرمانه ، وروى لنا فى صدق وأمانة حوادث معاركه وتشرده فى الشوارع وهيامه للبحث عن لقمة خبز تقيم أوده ، وليالى ضياعه ، كل هذا وغيره رسمه لنا الأديب بريشته المبدعة الخلاقة . فكانت حياته فى شعره سلسلة من الاعترافات النابضة بالحرارة والصدق بما اتسم به شعره من دموع وأحزان وأسى وعزفت لنا القيثارة الحزينة أرق أنغام الأسى والحرمان فى شعرنا المعاصر.

فالكتاب يتناول سيرة هذا الشاعر المحروم من خلال شعره.

المجلس الأعلى للثقافة

تصميم : عاطف عبد الحفيظ

Bibliotheca Alexandrina
0494028